

سورة الواقعة

مكيّة، وهي سبع وتسعون آية

مكيّة في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(١) [الآية: ٨٢]. وقال الكلبي: مكيّة إلا أربع آيات منها، آيتان: ﴿أَفِيهِذَا الْمَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾^(٢) و﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [٨٢-٨١] نزلتا في سفره إلى مكة، وقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [٤٠-٣٩] نزلتا في سفره إلى المدينة.

وقال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأوّلين والآخريين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة^(٤).

وذكر أبو عمر ابن عبد البر في «التمهيد»^(٥) و«التعليق»، والشعلبي أيضاً: أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا نأمر لك بعبائك؟ قال: لا حاجة لي فيه، حبسته عني في حياتي، وتدفعه لي عند مماتي؟ قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتي الفاقة من بعدي؟ إنني أمرتهن أن يقرأن سورة «الواقعة» كلّ ليلة، فإنني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كلّ ليلة لم تُصَبْه فاقة أبداً»^(٦).

(١) النكت والعيون ٤٤٥/٥ .

(٢) أخرجه الواحدي في الوسيط ٢٣١/٤ .

(٣) ٢٦٩/٥ .

(٤) وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٩٧) بتمامه، و(٢٤٩٨) و(٢٤٩٩) و(٢٥٠٠) مقتصرين على الحديث المرفوع، وأخرجه أيضاً ابن الضريس في فضائل القرآن (٢٢٦)، وابن السني في عمل =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَذِبٌ ۝٢ حَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝٤ وَسُتِّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة، والمراد النفخة الأخيرة^(١). وسميت واقعة؛ لأنها تقع عن قُرب. وقيل: لكثرة ما يقع فيها من الشدائد^(٢). وفيه إضمار، أي: اذكروا إذا وقعت الواقعة^(٣). وقال الجرجاني: «إذا» صلة، أي: وقعت الواقعة، كقوله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، و﴿أَنَّهُ أَمْرٌ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١] وهو كما يقال: قد جاء الصوم، أي: دنا واقترب. وعلى الأول «إذا» للوقت، والجواب قوله: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ».

﴿لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَذِبٌ﴾ الكاذبة مصدر بمعنى الكذب^(٤)، والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر، كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَفِيَةً﴾ [الغاشية: ١١] أي: لغو، والمعنى: لا يسمع لها كذب، قاله الكسائي. ومنه قول العامة: عائذاً بالله، أي: معاذ الله، وقم قائماً: أي: قم قياماً. ولبعض نساء العرب ترقصُ ابنتها:

قُمْ قَائِمًا قُمْ قَائِمًا
أصبت عبداً نائماً

= اليوم والليلة (٦٨٠) بنحوه مختصراً. وفي إسناده: السري بن يحيى، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦٣: وقد اختلف في شيخه، هل هو شجاع، أو: أبو شجاع، واختلفوا أيضاً في شيخ شجاع، هل هو أبو فاطمة، أو: أبو ظبية، ثم اختلفوا في ضبط أبي ظبية، فعند الدارقطني بالطاء المهملة، بعدها تحتانية، ثم موحدة، وإنه عيسى بن سليمان الجرجاني، وأن روايته عن ابن مسعود منقطعة... وعند البيهقي أنه بالمعجمة، بعدها موحدة، ثم تحتانية، وأنه مجهول. وقال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر، وشجاع لا أعرفه. اهـ.

(١) تفسير البغوي ٤/٢٧٩.

(٢) النكت والعيون ٥/٤٤٥.

(٣) الكشف ٤/٥١.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/١٢١.

وقيل: الكاذبة صفة، والموصوف محذوف، أي: ليس لوقعتها حال كاذبة، أو نفس كاذبة، أي: كلُّ من يخبر عن وقعتها صادق^(١). وقال الزجاج^(٢): «لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ» أي: لا يرُدُّها شيء. ونحوه قول الحسن وقتادة^(٣). وقال الثوري: ليس لوقعتها أحد يكذب بها. وقال الكسائي أيضاً: ليس لها تكذيب، أي: ينبغي ألا يكذب بها أحد. وقيل: إن قيامها جدُّ لا هزل فيه.

قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ قال عكرمة ومقاتل والسُّدِّيُّ: خفضت الصوت فأسمعت من دنا، ورفعت فأسمعت من نأى^(٤). يعني: أسمعت القريب والبعيد. وقال السُّدِّيُّ: خفضت المتكبرين، ورفعت المستضعفين. وقال قتادة: خفضت أقواماً في عذاب الله، ورفعت أقواماً إلى طاعة الله^(٥). وقال عمر بن الخطاب ؓ: خفضت أعداء الله في النار، ورفعت أولياء الله في الجنة. وقال محمد بن كعب: خفضت أقواماً كانوا في الدنيا مرفوعين، ورفعت أقواماً كانوا في الدنيا مخفوضين^(٦). وقال ابن عطاء: خفضت أقواماً بالعدل، ورفعت آخرين بالفضل. والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة، والعزُّ والإهانة. ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة؛ توسعاً ومجازاً على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل، يقولون: ليلٌ نائمٌ، ونهار صائمٌ. وفي التنزيل: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ﴾ [سبا: ٢٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله وحده، رفَّع أولياءه في أعلى الدرجات، وخفض أعداءه في أسفل الدركات .

وقرأ الحسن وعيسى الثقفي: «خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ» بالنصب^(٧). الباقر بالرفع؛ على

(١) الكشاف ٥١/٤ .

(٢) في معاني القرآن له ١٠٧/٥ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٣٨/٥ ، وأخرجه الطبري ٢٢/٢٨٠ عن قتادة .

(٤) النكت والعيون ٥/٤٤٦ عن عكرمة ، وأخرجه عنه الطبري ٢/٢٨١ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٦٩ ، والطبري ٢٢/٢٨١ .

(٦) النكت والعيون ٥/٤٤٦ ، وقول عمر أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/٣٣٢٩ (١٧٨٦٦) .

(٧) المحتسب ٢/٣٠٧ ، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥٠ وعزاها إلى اليزيدي .

إضمار مبتدأ، ومن نصب، فعلى الحال. وهو عند الفراء^(١) على إضمار فعل، والمعنى: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ» وقعت خافضة رافعة. والقيامة لا شك في وقوعها، وأنها ترفع أقواماً وتضع آخرين، على ما بيّناه.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي: زلزلت وحُركت، عن مجاهد وغيره^(٢). يقال: رَجَّه يَرْجُّه رَجًّا، أي: حركه وزلزله. وناقه رَجَاءً، أي: عظيمة السَّنام. وفي الحديث: «مَنْ ركب البحرَ حينَ يَرْتَجُّ فلا ذِمَّةَ له» يعني: إذا اضطربت أمواجه^(٣). قال الكلبي: وذلك أن الله تعالى إذا أوحى إليها اضطربت فرقا من الله تعالى. قال المفسرون: تَرْتَجُّ كما يرتجُّ الصبيُّ في المهد حتى ينهدم كلُّ ما عليها، وينكسر كلُّ شيء عليها من الجبال وغيرها^(٤). وعن ابن عباس: الرَّجَّةُ: الحركة الشديدة يسمع لها صوت^(٥).

وموضع «إِذَا» نصب على البدل من «إِذَا وَقَعَتِ»، ويجوز أن ينتصب بـ«خَافِضَةً رَافِعَةً» أي: تخفض وترفع وقت رجِّ الأرض ويسُّ الجبال؛ لأنَّ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع، ويرتفع ما هو منخفض^(٦). وقيل: أي: وقعت الواقعة إذا رجَّت الأرض، قاله الزجاج^(٧) والجرجاني. وقيل: أي: اذكر «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا» مصدر؛ وهو دليل على تكرير الزلزلة.

قوله تعالى: ﴿وَسُئِتِ الْجِبَالُ بُسًا﴾ أي: فُتَّتت، عن ابن عباس^(٨). مجاهد: كما

(١) في معاني القرآن له ١٢١/٣ .

(٢) تفسير مجاهد ٦٤٥/٢ ، وأخرجه عنه - وعن ابن عباس - الطبري ٢٢/٢٨٢ .

(٣) الصحاح (رجج)، والحديث أخرجه أحمد (٢٠٧٤٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٩٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٢٥)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مطولاً، وأورده أبو عبيد في غريب الحديث ٢٧٥/١ وقال: وأكثر ظني أنه التَّجُّ - باللام. اهـ وهما بمعنى.

(٤) تفسير البغوي ٢٧٩/٤ .

(٥) زاد المسير ١٣١/٨ .

(٦) الكشف ٥٢/٤ .

(٧) في معاني القرآن له ١٠٨/٥ .

(٨) زاد المسير ١٣٢/٨ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٨٣ .

يُسُّ الدقيق، أي: يُلْتُ^(١).

والبَيْسِيَّة: السَّوِيق أو الدقيق يُلْتُ بالسَّمْن أو بالزيت، ثم يؤكل ولا يطبخ، وقد يَتَّخِذُ زاداً. قال الراجز:

لا تَخْبِزَا خُبْزاً وَبُسّاً بَسّاً ولا تُطَيِّلَا بِمُنَاخِ حَبَسَا^(٢)

وذكر أبو عبيدة^(٣): أَنَّهُ لَصٌّ مِنْ عَطْفَانٍ أَرَادَ أَنْ يَخْبِزَ فَخَافَ أَنْ يُعَجَّلَ عَنْ ذَلِكَ فَأَكَلَهُ عَجِيناً. والمعنى أَنَّهُا خُلِطَتْ فَصَارَتْ كالدقيق الملتوت بشيء من الماء. أي: تصير الجبال تراباً فيختلط البعض بالبعض. وقال الحسن: وَبُسَّتْ: قُلِعَتْ مِنْ أَصْلِهَا فَذَهَبَتْ، نظيره: ﴿يَسْفُهُا رَبِّي نَسْفًا﴾^(٤) [طه: ١٠٥]. وقال عطية: بُسَطَتْ كالرمل والتراب. وقيل: البسُّ: السَّوِيق^(٥)، أي: سيقت الجبال. قال أبو زيد: البسُّ: السَّوِيق، وقد بسستُ الإبل أبسُّها - بالضم - بساً. وقال أبو عبيد^(٦): بَسَسْتُ الإِبِلَ وَأَبَسَسْتُ لَعْنَانَ: إِذَا زَجَرْتَهَا، وَقُلْتُ لَهَا: بَسْ بَسْ. وفي الحديث: «يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْيَمَنِ أَوْ الشَّامِ أَوْ الْعِرَاقِ يَبْسُونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^(٧) ومنه الحديث الآخر: «جاءكم أهل اليمن يَبْسُونَ عِيالهم»^(٨) والعرب تقول: جِيءَ بِهِ مِنْ حَسِّكَ وَبَسِّكَ^(٩). ورواهما أبو زيد بالكسر، فمعنى من حَسِّكَ، من حيث أَحْسَسْتَهُ، وَبَسِّكَ، من حيث بلغه مسيرك، وقال مجاهد: سالت سيلاً. عكرمة: هُدَّتْ

(١) المحرر الوجيز ٢٣٩/٥، وهو في تفسير مجاهد ٦٤٥/٢، وأخرجه عنه الطبري ٢٨٣/٢٢.

(٢) النكت والعيون ٤٤٧/٥، والصحاح (بسس)، وما بعده منه أيضاً، والرجز لبعض لصوص العرب، كما ذكر ذلك الجاحظ في كتابه الحيوان ٤/٤٩٠-٤٩١، وذكرها المرزباني في معجم الشعراء ص ٤٧٥ بنحوه ونسبها إلى الهفوان العقيلي أحد بني المتفق وأحد اللصوص.

(٣) في مجاز القرآن له ٢٤٧/٢ - ٢٤٨.

(٤) تفسير البغوي ٤/٢٧٩.

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٠٨/٥.

(٦) في غريب الحديث ٨٩-٩٠، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهر في الصحاح (بسس).

(٧) أخرجه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨)، وأحمد (٢١٩١٦) عن سفيان بن أبي زهير البهزي.

(٨) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٩) الصحاح (بسس)، والمثل في المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٣٦/٢.

هداً. محمد بن كعب: سُيِّرَت سيراً، ومنه قول الأغلب العجلي^(١):

[نحن بسسنا بأثر أطاراً أضاء خمساً ثمَّت سارا]

وقال الحسن: قُطعت قطعاً. والمعنى متقارب.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبِتًا﴾ قال عليّ ؑ: الهباء المنبت: الرُّهَج الذي يسطع من حوافر الدوابِّ ثم يذهب، فجعل الله أعمالهم كذلك، وقال مجاهد: الهباء: هو الشعاع الذي يكون في الكوَّة كهيئة الغبار^(٢). وروي نحوه عن ابن عباس^(٣). وعنه أيضاً: هو ما تطاير من النار إذا اضطربت يطير منها شرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً^(٤). وقاله عطية. وقد مضى في «الفرقان»^(٥) عند قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الآية: ٢٣].

وقراءة العامة: «مُنْبِتًا» بالثاء المثناة، أي: متفرقاً من قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠] أي: فرَّق ونشر. وقرأ مسروق والنخعي وأبو حيوة: «مُنْبِتًا» بالثاء المثناة^(٦)، أي: منقطعاً من قولهم: بَثَّ الله، أي: قطعه، ومنه البتات.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ⑦ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑧ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ⑨ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ⑩ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ⑪ فِي جَنَّةٍ النَّارِ ⑫

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ أي: أصنافاً ثلاثة^(٧)، كلُّ صنف يُشاكل ما هو

(١) النكت والعيون ٤٤٦/٥ وما بعده منه أيضاً، ولم يرد في النسخ قول الأغلب العجلي، واستدركناه منه.

(٢) النكت والعيون ٤٤٧/٥، وقول عليّ أخرجه مجاهد في التفسير ٦٤٥/٢، وعبد الرزاق في التفسير

٢٦٩/٢، والطبري ٢٨٥/٢٢، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٨٥/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري ٢٨٤/٢٢.

(٤) النكت والعيون ٤٤٧/٥.

(٥) ٣٩٦/١٥.

(٦) المحرر الوجيز ٢٣٩/٥ عن النخعي، والبحر المحيط ٢٠٤/٨.

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٦.

منه، كما يُشاكل الزوج الزوجة. ثم بيّن من هم فقال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾، ﴿وَالسَّيِّئُونَ﴾ فأصحاب الميمنة: هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة. وأصحاب المشأمة: هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. قاله السُّدِّيُّ^(١).

والمَشْأمة: الميسرة، وكذلك الشأمة. يقال: قعد فلانٌ شأمةً. ويقال: يا فلان شائمٌ بأصحابك، أي: خُذْ بهم شأمةً، أي: ذات الشمال^(٢). والعرب تقول لليد الشمال: الشؤمى، وللجانِب الشمال: الأشأم^(٣). وكذلك يقال لما جاء عن اليمين: اليُمن، ولما جاء عن الشَّمال: الشؤم^(٤).

وقال ابن عباس والسُّدِّيُّ: أصحاب الميمنة: هم الذين كانوا عن يمين آدم حين أخرجت الذُّرِّيَّة من صُلْبِه فقال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي^(٥). وقال زيد بن أسلم^(٦): هم الذين أُخِذوا من شقِّ آدم الأيمن يومئذ. وأصحاب المشأمة: الذين أُخِذوا من شقِّ آدم الأيسر. وقال عطاء ومحمد بن كعب: أصحاب الميمنة: من أُوتِيَ كتابه بيمينه. وأصحاب المشأمة: من أُوتِيَ كتابه بشماله. وقال ابن جريح: أصحاب الميمنة: هم أهل الحسنات. وأصحاب المشأمة: هم أهل السيئات. وقال الحسن والربيع: أصحاب الميمنة: الميامين على أنفسهم بالأعمال الصالحة. وأصحاب المشأمة: المشائيم على أنفسهم بالأعمال السيئة القبيحة^(٧).

وفي «صحيح مسلم»^(٨) من حديث الإسراء عن أبي ذرٍّ، عن النبي ﷺ قال: «فلما

(١) النكت والعيون ٤٤٨/٥.

(٢) الصحاح (شأم).

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٤٨/٢.

(٤) زاد المسير ١٣٢/٨.

(٥) تفسير البغوي ٤/٢٨٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) بعدها في (م): أصحاب الميمنة. ولم ترد في النسخ الخطية.

(٧) النكت والعيون ٤٤٨/٥ دون ذكر عطاء والربيع، وذكره عن الربيع ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٢٤٠، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/١٣٢ مقتصرين على الشقِّ الأول من قوله.

(٨) برقم (١٦٣)، هو عند البخاري أيضاً (٣٤٩).

عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا إِذَا رَجَلَ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ - قَالَ: - فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحَكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى - قَالَ: - فَقَالَ: مَرَحِبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ - قَالَ: - قُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمَ بَيْنَهُ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وَقَالَ الْمُبَرَّدُ: وَأَصْحَابُ الْمِيْمَنَةِ: أَصْحَابُ التَّقَدُّمِ. وَأَصْحَابُ الْمَشَامَةِ: أَصْحَابُ التَّأَخُّرِ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: اجْعَلْنِي فِي يَمِينِكَ وَلَا تَجْعَلْنِي فِي شِمَالِكَ، أَيْ: اجْعَلْنِي مِنَ الْمَتَقَدِّمِينَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْمَتَأَخِّرِينَ. وَالتَّكْرِيرُ فِي «مَا أَصْحَابُ الْمِيْمَنَةِ» وَ«مَا أَصْحَابُ الْمَشَامَةِ» لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّعْجُبِ، كَقَوْلِهِ: «الْمَأَقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ» [الحاقة: ١-٢] وَ«الْفَارِعَةُ . مَا الْفَارِعَةُ»^(١) [القارعة: ١-٢] كَمَا يُقَالُ: زَيْدٌ مَا زَيْدٌ^(٢)! وَفِي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا لِكَ وَمَا مَالِكَ^(٣)! وَالْمَقْصُودُ تَكْثِيرُ مَا لِأَصْحَابِ الْمِيْمَنَةِ مِنَ الثَّوَابِ، وَلِأَصْحَابِ الْمَشَامَةِ مِنَ الْعِقَابِ.

وَقِيلَ: «أَصْحَابُ» رَفَعَ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَالْخَبَرُ: «مَا أَصْحَابُ الْمِيْمَنَةِ» كَأَنَّهُ قَالَ: «فَأَصْحَابُ الْمِيْمَنَةِ» مَا هُمْ؟ الْمَعْنَى: أَيْ شَيْءٌ هُمْ^(٤). وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ «مَا» تَأْكِيدًا، وَالْمَعْنَى: فَالَّذِينَ يَعْطُونَ^(٥) كِتَابَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ هُمْ أَصْحَابُ التَّقَدُّمِ وَعَلَوْ الْمُنْزَلَةَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «السَّابِقُونَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ، وَإِذَا سُئِلُوا بِذَلْوِهِ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ» ذَكَرَهُ الْمَهْدَوِيُّ^(٦). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ: إِنَّهُمْ الْأَنْبِيَاءَ. الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: السَّابِقُونَ

(١) معاني القرآن للزجاج ١٠٨/٥-١٠٩.

(٢) معاني القرآن للأخفش ٧٠١/٢.

(٣) سلف ٢٩٣/١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٤/٤.

(٥) في (ظ): يوتون.

(٦) وأخرجه أحمد (٢٤٣٧٩)، وأبو نعيم في الحلية ١٦/١ و١٨٦/٢-١٨٧ عن عائشة رضي الله عنها. وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف.

إلى الإيمان من كل أمة^(١). ونحوه عن عكرمة. محمد بن سيرين: هم الذين صلُّوا إلى القِبْلَتَيْن؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَجِّرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(٢) [التوبة: ١٠٠]. وقال مجاهد وغيره: هم السابقون إلى الجهاد، وأوّل الناس رواحاً إلى الصلاة. وقال عليّ رضي الله عنه: هم السابقون إلى الصلوات الخمس. الضحّاك: إلى الجهاد. سعيد بن جبیر: إلى التوبة وأعمال البرّ، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ثم أثنى عليهم فقال: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٣) [المؤمنون: ٦١].

وقيل: إنهم أربعة، منهم سابق أمة موسى وهو حزقيل مؤمن آل فرعون، وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجّار صاحب أنطاكيّة، وسابقان في أمة محمد صلى الله عليه وآله وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قاله ابن عباس، حكاه الماوردي^(٤).

وقال شُمَيْط بن العجلان: الناس ثلاثة، فرجل ابتكر للخير في حادثة سنّه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا، فهذا هو السابق المقرب، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طوّل الغفلة، ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها، فهذا من أصحاب اليمين، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها، فهذا من أصحاب الشمال^(٥).
وقيل: هم كلٌّ من سبق إلى شيء من أشياء الصلاح.

ثم قيل: «السَّابِقُونَ» رفع بالابتداء، والثاني توكيد له، والخبر: ﴿أُولَئِكَ الْمَقْرَّبُونَ﴾. وقال الزجاج^(٦): «السَّابِقُونَ» رفع بالابتداء، والثاني خبره، والمعنى: السابقون إلى

(١) النكت والعيون ٤٤٨/٥.

(٢) تفسير البغوي ٢٨٠/٤، وأخرجه الطبري ٢٩٠/٢٢ عن ابن سيرين.

(٣) تفسير البغوي ٢٨٠/٤.

(٤) في النكت والعيون ٤٤٨/٥، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٣٣٢٩/١٠ (١٨٧٧٣) عن ابن عباس بنحوه.

(٥) الكشاف ٥٢/٤ دون عزو.

(٦) في معاني القرآن له ١٠٩/٥ وما قبله منه أيضاً.

طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، «أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» من صفتهم. وقيل: إذا خرج رجل من السابقين المقربين من منزله في الجنة كان له ضوء يعرفه به من دونه.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا تُنْقَلِبُكَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: جماعة من الأمم الماضية. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: ممن آمن بمحمد ﷺ^(١). قال الحسن: ثلثة ممن قد مضى قبل هذه الأمة، وقليل من أصحاب محمد ﷺ^(٢). اللهم اجعلنا منهم بكرمك. وسُموا قليلاً، بالإضافة إلى من كان قبلهم؛ لأن الأنبياء المتقدمين كثروا، فكثر السابقون إلى الإيمان منهم، فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من أممتنا^(٣). وقيل: لما نزل هذا شقَّ على أصحاب رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، بل ثلث أهل الجنة، بل نصف أهل الجنة، وتقاسمونهم في النصف الثاني» رواه أبو هريرة، ذكره الماوردي^(٤) وغيره. ومعناه ثابت في «صحيح مسلم»^(٥) من حديث عبد الله بن مسعود. وكأنه أراد أنها منسوخة، والأشبه أنها محكمة؛ لأنها خبر^(٦)؛ ولأن ذلك في جماعتين مختلفتين. قال الحسن: سَابِقُو مَنْ مَضَى أَكْثَرُ مِنْ سَابِقِينَا، فلذلك قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ وقال في أصحاب اليمين وهم سوى السابقين: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ ولذلك قال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكون أممي شطر أهل الجنة، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ

(١) تفسير الطبري ٢٢/٢٩١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٢٤١ بنحوه.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/١٠٩ بنحوه.

(٤) في النكت والعيون ٥/٤٤٩-٤٥٠، والحديث سلف ١٢/٢.

(٥) برقم (٢٢١)، وهو عند البخاري أيضاً (٦٥٢٨)، وأحمد (٣٦٦١).

(٦) الكشاف ٤/٥٣، وتفسير الرازي ٢٩/١٤٨ بنحوه.

مَنْ الْأَخْرِينَ» قال مجاهد: كلُّ من هذه الأُمَّة. وروى سفيان: عن أبان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «الثُّلثان جميعاً من أمتي»^(١) يعني: «ثُلَّةٌ مَنْ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مَنْ الْأَخْرِينَ». وروى هذا القول عن أبي بكر الصديق ﷺ. قال أبو بكر ﷺ: كِلَا الثُّلثَيْنِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي أَوَّلِ أُمَّتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي آخِرِهَا، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ﴾ [فاطر: ٣٢]. وقيل: «ثُلَّةٌ مَنْ الْأَوَّلِينَ» أي: من أوَّلِ هذه الأُمَّة. «وَقَلِيلٌ مَنْ الْأَخْرِينَ» يسارع في الطاعات حتى يلحقَ درجة الأولين. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «خيركم قرني»^(٢) ثم سَوَّى في أصحاب اليمين بين الأولين والآخرين. والثُّلَّةُ: من ثلَّت الشيء، أي: قطعته، فمعنى ثُلَّةٌ كمعنى فرقة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ أي: السابقون في الجنة «عَلَى سُرُرٍ»، أي: مجالسهم على سرر، جمع سرير^(٣). «مَوْضُونَةٍ» قال ابن عباس: منسوجة بالذهب.

وقال عكرمة: مشبكة بالذُرِّ والياقوت. وعن ابن عباس أيضاً: «مَوْضُونَةٍ» مصفوفة^(٤)، كما قال في موضع آخر: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]. وعنه أيضاً وعن مجاهد: مَرْمُولَةٌ بالذهب^(٥). وفي التفاسير: «مَوْضُونَةٍ» أي: منسوجة بقضبان الذهب^(٦)، مشبكة بالذُرِّ والياقوت والزُّبرجد.

والوَضْنُ: النسيج المضاعف والنَّضْدُ، يقال: وَضَنَ فلانٌ الحجرَ والأَجْرَ بعضه فوق بعض، فهو مَوْضُونٌ، ودرع مَوْضُونَةٌ، أي: مُحَكَّمَةُ النَّسِجِ، مثل مصفوفة^(٧)، قال الأعشى:

(١) الكشاف ٥٣/٤ بدون إسناد.

(٢) سلف ٤٥٥/٤ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١١٠/٥ .

(٤) زاد المسير ١٣٥/٨ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٩٢/٢٢ ، ٢٩٤ .

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٢٩٢/٢٢ ، وهناد في الزهد (٧٧) و(٧٦). وقول مجاهد في تفسيره ٦٤٦/٢ .

(٦) الوسيط ٢٣٣/٤ .

(٧) تهذيب اللغة ٦٨-٦٩ .

وَمِن نَّسِجِ دَاوُدَ مَوْضُوءَةً تَسَاقُ مَعَ الْحَيِّ عَيْرًا فَعَيْرًا^(١)
وقال أيضاً^(٢):

وَبَيْضَاءَ كَالنَّهْيِ مَوْضُوءَةً لَهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَيْبِ الْبَدَنِ
والسرير الموضون: الذي سطحه بمنزلة المنسوج، ومنه الوضين: بطن من سُيور
ينسج فيدخل بعضه في بعض؛ ومنه قوله:

إِلَيْكَ تَعَدُّوا قَلِيلاً وَضِيئُهَا^(٣)

﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا﴾ أي: على السرر. ﴿مُتَقَبِّلِينَ﴾ أي: لا يرى بعضهم قفاً بعض،
بل تدور بهم الأسرة، وهذا في المؤمن وزوجته وأهله، أي: يتكثرون متقابلين. قاله
مجاهد وغيره^(٤). وقال الكلبي: طول كل سرير ثلاث مئة ذراع، فإذا أراد العبد أن
يجلس عليها تواضعت، فإذا جلس عليها ارتفعت.

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٧﴾ يَا كُوفٍ وَابَارِقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٨﴾ لَا
يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَوْنَ ﴿٩﴾ وَفَلَكَهِيَ مِمَّا يَتَخَبَّزُونَ ﴿١٠﴾ وَلَطَعِ ظَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ ﴿١١﴾
وَحُورٌ عِينٌ ﴿١٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿١٣﴾ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا
لِقَاً وَلَا تَأْتِيماً ﴿١٥﴾ إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: غلمان لا يموتون، قاله مجاهد^(٥).
الحسن والكلبي: لا يهرمون ولا يتغيرون، ومنه قول امرئ القيس:

(١) ديوان الأعشى الكبير ص ١٤٩، قال شارحه: والدروع الكثيفة قد نسجت نسجاً مضاعفاً، تُحمل فوق
الجمال عيراً من ورائها عير.

(٢) أي: الأعشى الكبير، والبيت سلف ٤٩/١١.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٤٨/٢، والرجز ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ٥٧٤/١ ونسبه لرجل من
نجران، وقال: الوضين: الحزام، وذكره أيضاً ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٣٣٣/٥، عن عمر بن
الخطاب فيما يرتجز به من شعر.

(٤) سلف ٢١٩/١٢ - ٢٢٠.

(٥) تفسير مجاهد ٦٤٦/٢، وأخرجه عنه الطبري ٢٩٥/٢٢.

وَهَلْ يَنْعَمْنَ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبِيْتُ بِأَوْجَالٍ^(١)
 وقال سعيد بن جبیر: مُخَلَّدُونَ: مُقَرَّرُونَ^(٢)، يقال لِلْقَرَطِ: الخَلْدَةُ، ولجماعة
 الحُلِيِّ: الخَلْدَةُ^(٣). وقيل: مسوَّرون ونحوه، عن الفراء^(٤)، قال الشاعر:
 ومخَلَّداتٌ بِاللُّجَيْنِ كَأَنَّما أَعْجَازُهُنَّ أَقَاوِزُ الْكُثْبَانِ^(٥)
 وقيل: مقَرَّرُونَ، يعني: مُمَنِّطِقُونَ من المناطق. وقال عكرمة: «مُخَلَّدُونَ»: منعمون.
 وقيل: على سنِّ واحدة^(٦)، أنشأهم الله لأهل الجنة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة.
 وقال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام والحسن البصريُّ: الولدان هاهنا: ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم ولا سيئة^(٧). وقال سلمان الفارسيُّ:
 أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة^(٨). قال الحسن: لم يكن لهم حسنات يُجزون بها، ولا سيئات يعاقبون عليها، فوضعوا في هذا الموضع^(٩). والمقصود: أنَّ أهل الجنة على أتم السرور والنعمة، والنعمة إنَّما تتمُّ باحتفاف الخدم والولدان بالإنسان.

﴿يَا كُؤَابَ وَيَأْبَارِيْنَ﴾ أكواب: جمع كوب، وقد مضى في «الزخرف»^(١٠). وهي الآنية

(١) النكت والعيون ٥/٤٥٠ دون ذكر الكلبي، والبيت في ديوان امرئ القيس ص ٢٧، وفيه: يَعْمَنُ، بدل: ينعمن. ومعناه: يقيم. وقال شارح الديوان: الأوجال: جمع وَجَل، وهو الفزع.

(٢) تفسير البغوي ٤/٢٨١.

(٣) تهذيب اللغة ٧/٢٧٩.

(٤) في معاني القرآن له ٣/١٢٣، والمصنف نقله عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥/٤٥٠، وما بعده منه أيضاً.

(٥) ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٤٧ ولم ينسبه، وابن دريد في الاشتقاق ص ١٦٣ وعزاه إلى أبي عبيدة، والأقاوز: جمع قوز، والقوز من الرمل: صغير مستدير، تشبَّه به أرداف النساء. اللسان (قوز).

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/١٢٢.

(٧) الكشاف ٤/٥٣.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٠٧٩).

(٩) زاد المسير ٨/١٣٥.

(١٠) ٧٩/١٩.

التي لا عُرى لها ولا خراطيم. والأباريق: التي لها عُرى وخراطيم، واحدها: إبريق، سُمي بذلك؛ لأنه يبرق لونه من صفائه^(١). ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ مضى في «والصافات»^(٢) القول فيه. والمعين: الجاري من ماء أو خمر، غير أن المراد في هذا الموضع الخمر الجارية من العيون^(٣). وقيل: الظاهرة للعيون، فيكون «معين» مفعولاً من المعاينة. وقيل: هو فعيل من المَعْن، وهو الكثرة^(٤). وبيّن أنها ليست كخمر الدنيا التي تستخرج بعصر وتكُلف ومعالجة.

قوله تعالى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: لا تنصدع رؤوسهم من شربها^(٥)، أي: إنها لذّة بلا أذى، بخلاف شراب الدنيا. ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ تقدّم في «والصافات»^(٦) أي: لا يسكرون فتذهب عقولهم.

وقرأ مجاهد: «لَا يُصَدَّعُونَ» بمعنى: لا يتصدّعون: أي: لا يتفرّقون، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُصَدَّعُونَ﴾^(٧) [الروم: ٤٣]. وقرأ أهل الكوفة: «يُنزِفُونَ» بكسر الزاي، أي: لا ينفد شرابهم^(٨)، ولا تفتنى خمرهم، ومنه قول الشاعر:

لَعَمْرِي لَيْسَ أَنْزَفْتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ لَيْسَ النَّدَامَى كُنْتُمْ آلَ أَبَجْرَا^(٩)

وروى الضحّاك عن ابن عباس قال: في الخمر أربع خصال: السُّكْر والصُّدَاعُ

(١) الوسيط ٤/ ٢٣٣ .

(٢) ٢٩/١٨ - ٣٠ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥١ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١ .

(٦) عند الآية (٤٧).

(٧) الكشف ٤/ ٥٤ ، والقراءة في البحر المحيط ٨/ ٢٠٥ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١ ، والقراءة في السبعة ص ٥٤٧ ، والتيسير ص ٢٠٧ ، والنشر ٢/ ٣٨٣ عن ابن

كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٥١ ، وما بعده منه أيضاً، والبيت للحطّية وسلف ١٨/ ٣٢ .

والقيء والبول، وقد ذكر الله تعالى خمر الجنة فنزَّهها عن هذه الخصال^(١).

قوله تعالى: ﴿وَفَكَهْمَةٌ مِمَّا يَتَخَبَّرُونَ﴾ أي: يتخيرون ما شاؤوا؛ لكثرتها. وقيل: وفاكهة متخيرة مرضية، والتخير: الاختيار. ﴿وَلَحِيرٌ طَيْرٌ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ روى الترمذي عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانيه الله تعالى - يعني في الجنة - أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر» قال عمر: إن هذه لناعمة. قال رسول الله ﷺ: «أكلتها أنعم منها» قال: هذا حديث حسن^(٢).

وخرَّجه الثعلبي من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة طيراً مثل أعناق البُخت تصطف على يدي ولي الله، فيقول أحدها: يا ولي الله رعيث في مروج تحت العرش، وشريت من عيون التسنيم، فكل مني، فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها، فتخرُّ بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد، فإذا شبع تُجمع عظام الطائر، فطار يرعى في الجنة حيث شاء». فقال عمر: يا نبي الله إنَّها لناعمة. فقال: «أكلها أنعم منها»^(٣).

وروي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لطيراً، في الطائر منها سبعون ألف ريشة، فيقع على صحيفة الرجل من أهل الجنة، ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون، طعام أبيض من الثلج، وأبرد وألين من الزبد، وأعذب من الشهد، ليس فيه لون يشبه صاحبه، فيأكل منه ما أراد، ثم يذهب فيطير»^(٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٣٢١١/١٠ (١٨١٧٧).

(٢) الترمذي (٢٥٤٢) وفيه: حديث حسن غريب. وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (١١٦٣٩)، وأحمد (١٣٣٠٦)، ووقع عند الترمذي: أحسن، بدل: أنعم. وهذه وردت هكذا في التذكرة ص ٤٨٥، والنقل منه. والجزر: جمع جزور، وهي الإبل. وقوله: لناعمة: أي: سيمان مترفة. النهاية (نعم).

(٣) التذكرة ص ٤٨٥.

(٤) أخرجه هناد في الزهد (١١٩)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٤٠)، وفي إسناد: عبيد الله بن الوليد الوصافي وعطية بن سعد العوفي، وهما ضعيفان. تقريب التهذيب.

قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرئ بالرفع والنصب والجر؛ فمن جرّ - وهو حمزة والكسائي وغيرهما^(١) - جاز أن يكون معطوفاً على «بِأَكْوَابٍ» وهو محمول على المعنى؛ لأنّ المعنى: يتنعمون بأكواب وفاكهة ولحم وحُور، قاله الزجاج^(٢). وجاز أن يكون معطوفاً على «جَنّاتٍ» أي: هم في «جَنّاتِ النَّعِيمِ» وفي حور، على تقدير حذف المضاف، كأنه قال: وفي معاشرة حور^(٣). الفراء^(٤): الجرُّ على الإبتاع في اللفظ، وإن اختلفا في المعنى؛ لأنّ الحور لا يطاق بهنّ، قال الشاعر:

إذا ما الغانيات برزْنَ يوماً وزججن الحواجب والعيون^(٥)
والعين لا تزجج وإنما تكحل. وقال آخر:

ورأيت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً وزمحا^(٦)

وقال فطرب: هو معطوف على الأكواب والأباريق من غير حمل على المعنى. قال: ولا ينكر أن يطاق عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذة^(٧).

ومن نصب - وهو الأشهب العقيلي والتخعي وعيسى بن عمر الثقفى، وكذلك هو في مصحف أبي^(٨) - فهو على تقدير إضمار فعل؛ كأنه قال: ويزوجون حوراً عينا^(٩). والحمل في النصب على المعنى أيضاً حسن؛ لأنّ معنى يطاق عليهم به: يُعطونه^(١٠).

(١) السبعة ص ٦٢٢، والتيسير ص ٢٠٧ عن حمزة والكسائي، وزاد ابن الجزري في النشر ٢/٣٨٣ أبا جعفر.

(٢) في معاني القرآن له ١١١/٥.

(٣) الحجة للفارسي ٦/٢٥٧، والكشف لمكي ٢/٣٠٤.

(٤) في معاني القرآن له ٣/١٢٣.

(٥) البيت للراعي النميري، وهو في شعره ص ١٥٦.

(٦) البيت لعبد الله بن الزبيرى، وسلف ١/٢٩١.

(٧) الكشف لمكي ٢/٣٠٤.

(٨) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحاسب ٢/٣٠٩، والبحر المحيط ٨/٢٠٦.

(٩) معاني القرآن للفراء ٣/١٢٤.

(١٠) معاني القرآن للزجاج ١١١/٥.

ومن رفع - وهم الجمهور، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم - فعلى معنى: وعندهم حور عين؛ لأنه لا يُطاف عليهم بالهور. وقال الكسائي: ومن قال: «وَحُورٌ عَيْنٌ» بالرفع، وعلل بأنه لا يطاف بهنّ، يلزمه ذلك في فاكهة ولحم؛ لأن ذلك لا يطاف به، وليس يطاف إلا بالخمير وحدها^(١). وقال الأخفش: يجوز أن يكون محمولاً على المعنى؛ لأن المعنى: لهم أكواب، ولهم حور عين^(٢). وجاز أن يكون معطوفاً على «ثَلَّة»، و«ثَلَّة» ابتداء، وخبره: «عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ» وكذلك «وَحُورٌ عَيْنٌ» وابتدأ بالنكرة؛ لتخصيصها بالصفة.

﴿كَأَمْثَلٍ﴾ أي: مثل أمثال ﴿اللُّؤْلُؤِ الْمَكُونِ﴾ أي: الذي لم تمسه الأيدي، ولم يقع عليه الغبار، فهو أشد ما يكون صفاءً وتلاؤواً، أي: هنّ في تشاكل أجسادهنّ في الحسن من جميع جوانبهنّ، كما قال الشاعر:

كَأَنَّمَا خُلِقَتْ فِي قَشْرِ لَوْلُؤَةٍ فَكُلُّ أَكْنَافِهَا وَجْهٌ لِمِرْصَادٍ^(٣)

﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: ثواباً، ونضبه على المفعول له. ويجوز أن يكون على المصدر^(٤)؛ لأن معنى «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ»: يجازون. وقد مضى الكلام في الحور العين في «والطُّور» وغيرها^(٥).

وقال أنس: قال النبي ﷺ: «خلق الله الحور العين من الزعفران»^(٦). وقال خالد

(١) معاني القرآن للفراء ١٢٤/٣ بنحوه.

(٢) تفسير البغوي ٢٨١/٤.

(٣) النكت والعيون ٤٥٢/٥، والبيت لبشار بن برد، وهو في ديوانه ٤٣/٢، والكتف: الجانب والناحية: اللسان (كتف).

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي ٧١٢/٢.

(٥) ١٣٧/١٩ و٥٢٣/١٩.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨١٢)، وفي الأوسط (٢٩٠)، ومن طريقه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٨٣) و(٣٨٥) عن أبي أمامة ؓ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٩/١٠: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفي إسنادهما ضعفاء. اهـ. ولم نقف عليه من حديث أنس ؓ.

ابن الوليد: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِيَمْسِكَ التَّفَاحَةَ مِنْ تَفَاحِ الْجَنَّةِ، فَتَنْفَلِقَ فِي يَدِهِ، فَتَخْرُجَ مِنْهَا حَوْرَاءٌ لَوْ نَظَرْتَ لِلشَّمْسِ لِأَخْجَلَتِ الشَّمْسَ مِنْ حُسْنِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنَ التَّفَاحَةِ» فقال له رجل: يا أبا سليمان إنَّ هذا لعجبٌ ولا يُنْقَصُ مِنَ التَّفَاحَةِ؟ قال: نعم، كالسراج الذي يوقد منه سراج آخر وسُرُجٌ ولا ينقص، والله على ما يشاء قدير.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خلق الله الحور العين من أصابع رجلها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر، ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض، عليها سبعون ألف حُلَّة مثل شقائق النعمان، إذا أقبلت يتلألأ وجهها نوراً ساطعاً كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا، وإذا أدبرت يرى كبدها من رقَّة ثيابها وجِلدها، في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر، لكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادي: هذا ثواب الأولياء «جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(١).

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا﴾ قال ابن عباس: باطلاً ولا كذباً^(٢). واللغو: ما يُلغى من الكلام، والتأيم مصدر أئمته، أي: قلت له: أئمت^(٣). محمد ابن كعب: «وَلَا تَأْتِيَمًا» أي: لا يؤثم بعضهم بعضاً. مجاهد: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا»: شتماً ولا مائماً^(٤).

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ «قِيلًا» منصوب بـ«يَسْمَعُونَ»، أو استثناء منقطع، أي: لكن يقولون قِيلًا أو يسمعون. و«سَلَامًا سَلَامًا» منصوبان بالقول، أي: إلا أنهم يقولون الخير. أو على المصدر، أي: إلا أن يقول بعضهم لبعض: سلاماً. أو يكون وصفاً

(١) التذكرة ص ٤٨١ .

(٢) النكت والعيون ٤٥٢/٥ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٤٣/٥ .

(٤) النكت والعيون ٤٥٢/٥ .

لـ«قيلاً»، والسلام الثاني بدل من الأوّل، والمعنى: إلا قليلاً يسلم فيه من اللغو. ويجوز الرفع على تقدير: سلام عليكم^(١). قال ابن عباس: أي: يُحيي بعضهم بعضاً. وقيل: تحييمهم الملائكة، أو يحييهم ربهم عز وجلّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٣٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٣٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٣٩) وَظَلِيٍّ تَمْدُودٍ (٤٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٤١) وَفُكْهَةٍ كَثِيرَةٍ (٤٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا تَمْنُوعَةٍ (٤٣) وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٤٤) إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً (٤٥) فَعَلَّنَهُنَّ أَبْكَارًا (٤٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٤٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٤٨) ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٤٩) وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٥٠)﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ رجع إلى ذكر منازل أصحاب الميمنة وهم السابقون على ما تقدّم، والتكرير؛ لتعظيم شأن النعيم الذي هم فيه. ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ أي: في نبق قد خُضد شوكة، أي: قطع، قاله ابن عباس وغيره^(٢).

وذكر ابن المبارك: حدثنا صفوان، عن سليم بن عامر، قال: كان أصحابُ النبي ﷺ يقولون: إنّه لينفعنا الأعراب ومساثلهم، قال: أقبل أعرابي يوماً، فقال: يا رسول الله! لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها؟ قال رسول الله ﷺ: «وما هي؟» قال: السدر؛ فإنّ له شوكاً مؤذياً. فقال ﷺ: «أوليس يقول: «في سدرٍ مخضودٍ» خضد الله شوكة، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنّها تنبت ثمراً تفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام، ما فيه لون يشبه الآخر»^(٣).

وقال أبو العالية والضحاك: نظر المسلمون إلى وجّ - وهو وادٍ بالطائف مُخْصِب -

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/٣٣٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/١١٢.

(٢) تفسير البغوي ٤/٢٨٢ عن ابن عباس وعكرمة، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/٣٠٧.

(٣) الزهد لابن المبارك (٢٦٣ زوائد نعيم). قال المنذري في الترغيب والترهيب ٤/٤٣٤: رواه ابن أبي

فأعجبهم سِدره، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا، فنزلت^(١). قال أمية بن أبي الصلت^(٢) يصف الجنة:

إن الحدائق في الجنان ظليّة فيها الكواكب سدرها مخضود

وقال الضحّاك ومجاهد ومقاتل بن حيان: «في سدرٍ مخضود»: وهو الموقر

حَمَلًا^(٣). وهو قريب مما ذكرنا في الخبر. سعيد بن جبير: ثمرها أعظم من القلال^(٤).

وقد مضى هذا في سورة «النجم»^(٥) عند قوله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [الآية: ١٤]

وأن ثمرها مثل قلال هجر، من حديث أنس عن النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُورٍ﴾ الطَّلْح: شجر الموز، واحده: طلحة. قاله أكثر

المفسرين^(٦) علي^(٧) وابن عباس^(٨) وغيرهم^(٩). وقال الحسن: ليس هو موز، ولكنّه

شجر له ظلٌّ بارد رطب^(١٠). وقال الفراء وأبو عبيدة: شجر عظام له شوك^(١١). قال

بعض الحدّاة وهو الجعديّ:

(١) أسباب النزول للواحد ص ٤٢٨ ، وتفسير البغوي ٢٨٢/٤ .

(٢) ديوانه ص ٥٩ .

(٣) النكت والعيون ٤٥٢/٥ ، وتفسير البغوي ٢٨٢/٤ عن مجاهد والضحاك ، وأخرجه عنهما الطبري

٣٠٩-٣٠٨/٢٢ .

(٤) تفسير البغوي ٢٨٢/٤ ، وأخرجه عنه الطبري ٣٠٩/٢٢ .

(٥) ص ٢٥ من هذا الجزء .

(٦) تفسير البغوي ٢٨٢/٤ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٧٠ ، وهناد في الزهد (١١٢) ، والطبري ٣١١/٢٢ .

(٨) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٧٠ ، وهناد في الزهد (١١١) ، والطبري ٣١١/٢٢ .

(٩) منهم أبو سعيد الخدري وأبو هريرة والحسن وعكرمة. النكت والعيون ٤٥٤/٥ ، وأخرجه الطبري

٣١١/٢٢ - ٣١٢ عن مجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد، وقول مجاهد في تفسيره ٦٤٧/٢ .

(١٠) المحرر الوجيز ٥/٢٤٤ .

(١١) تفسير البغوي ٢٨٢/٤ ، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/٢٥٠ ، وما بعده منه، والبيت ذكره

أيضاً الطبري ٣١٠/٢٢ ، والماوردي في النكت والعيون ٤٥٤/٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/١٤٠

ولم ينسبوه، ولم نقف عليه عند النابغة الجعدي.

بَشَّرَهَا ذَلِيلُهَا وَقَالَ غَدًا تَرِينَ الطَّلْحَ والأخبَالَ
 فالطَّلْحُ: كلُّ شجرٍ عظيمٍ كثيرٍ الشوك^(١). الزَّجَّاجُ^(٢): يجوز أن يكون في الجنة
 وقد أزيل شوكه. وقال الزَّجَّاجُ أيضاً: كشجر أمِّ غيلان [له] نور طيب جداً، فخطبوا
 ووعدوا بما يُحبُّون مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على
 ما في الدنيا. وقال السُّدِّيُّ: طلح الجنة يشبه طلح الدنيا، لكن له ثمر أحلى من
 العسل^(٣).

وقرأ عليُّ بن أبي طالب ﷺ: «وَطَلَحٌ مَّنْضُودٌ» بالعين^(٤)، وتلا هذه الآية: ﴿وَنَخْلٍ
 طَلْمَهَا هَضِيرٌ﴾ [الشعراء: ١٤٨] وهو خلاف المصحف. وفي رواية أنه قرئ بين يديه:
 «وطلح منضود» فقال: ما شأن الطلح؟ إنما هو «وَطَلَحٌ مَّنْضُودٌ» ثم قال: ﴿لَمَّا طَلَحَ
 نَضِيدٌ﴾ [ق: ١٠] فقيل له: أفلا نحولها؟ فقال: لا ينبغي أن يهاج القرآن ولا يحول^(٥).
 فقد اختار هذه القراءة ولم ير إثباتها في المصحف؛ لمخالفة ما رسمه مجمع عليه.
 قاله القشيريُّ. وأسنده أبو بكر الأنباريُّ قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الحسن بن
 عرفة، حدثنا عيسى بن يونس، عن مجالد، عن الحسن بن سعد، عن قيس بن عباد،
 قال: قرأت عند عليٍّ، أو قرئت عند عليٍّ - شك مجالد - : «وَطَلَحٌ مَّنْضُودٌ»، فقال
 عليٌّ ﷺ: ما بال الطلح؟ أما تقرأ: «وَطَلَحٌ» ثم قال: ﴿لَمَّا طَلَحَ نَضِيدٌ﴾ [ق: ١٠] فقال
 له: يا أمير المؤمنين أنكحها من المصحف؟ فقال: لا يهاج القرآن اليوم^(٦). قال أبو
 بكر: ومعنى هذا أنه رجع إلى ما في المصحف، وعلم أنه هو الصواب، وأبطل الذي
 كان فرط من قوله.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣١/٤.

(٢) في معاني القرآن له ١١٢/٥، وما بعده منه أيضاً، وما بين حاصرتين منه ومن (م).

(٣) الكشاف ٥٤/٤.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥٠.

(٥) الكشاف ٥٤/٤، وهاج الشيء: ثار لمشقة أو ضرر. اللسان (هيج).

(٦) وأخرجه الطبري ٣٠٩-٣١٠/٢٢ من طريق مجالد، به، وبنحوه، وأورده البغوي في التفسير ٢٨٢/٤

عن مجاهد، عن الحسن بن سعيد، عن علي ﷺ.

والمنضود: المتراكب الذي قد نُضدَ أوله وآخره بالحمل، ليست له سُوقٌ بارزة^(١)، بل هو مرصوص، والنُّضد: هو الرصُّ، والمنضد: المرصوص، قال النابغة: خَلَّتْ سَبِيلَ أَيْيِّ كَانَ يَحْبِسُهُ وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالْنُّضْدِ^(٢) وقال مسروق: أشجار الجنة من عروقتها إلى أفنانها نضيدة، ثمر كلُّه^(٣). كلما أكل ثمرة، عاد مكانها أحسن منها.

قوله تعالى: ﴿وَيَظِلُّ مَمْدُودٌ﴾ أي: دائم باقٍ لا يزول ولا تنسخه الشمس^(٤)، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥] وذلك بالغداة وهي ما بين الإسفار إلى طلوع الشمس، حسب ما تقدّم بيانه هناك^(٥). والجنة كلُّها ظلٌّ لا شمس معه. قال الربيع بن أنس: يعني ظلَّ العرش. وقال عمرو بن ميمون: مسيرة سبعين ألف سنة. وقال أبو عبيدة^(٦): تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشئ الذي لا ينقطع: ممدود، وقال لبيد^(٧):

غَلَبَ الْعَزَاءُ وَكُنْتُ غَيْرَ مُغَلَّبٍ دَهْرٌ طَوِيلٌ دَائِمٌ مَمْدُودٌ
وفي «صحيح الترمذي» وغيره من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَيَظِلُّ مَمْدُودٌ﴾»^(٨).
﴿وَمَا وَ مَسْكُوبٍ﴾ أي: جارٍ لا ينقطع^(٩)، وأصل السكب: الصبُّ، يقال: سكبه

- (١) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٨، وتهذيب اللغة ٤/١٢ .
(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٣١، والآتي: سَيْلٌ لا يدرى من أين أتى. والسجفان: الستران المقرونان بينهما فرجة. اللسان (أتي) و(سجف).
(٣) تفسير البغوي ٤/٢٨٢ .
(٤) الوسيط ٤/٢٣٤ .
(٥) ٤١٩/١٥ .
(٦) في مجاز القرآن له ٢/٢٥٠ .
(٧) شرح ديوان لبيد ص ٣٦ .
(٨) الترمذي (٣٢٩٢) مطولاً، وقال: هذا حديث حسن صحيح. اهـ. وهو عند البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦)، وأحمد (١٠٢٥٩).
(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٨ .

سَكْبًا، والسُّكُوبُ: انصبابه؛ يقال: سَكَبَ سَكُوبًا، وأنسَكَبَ انسكابًا^(١). أي: وماء مصبوب يجري الليل والنهار في غير أخذود لا ينقطع عنهم^(٢). وكانت العرب أصحابَ بادية وبلادٍ حارَّة، وكانت الأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالدَّلْو والرِّشَاء، فوعدوا في الجَنَّة خلاف ذلك، ووصف لهم أسباب النزهة المعروفة في الدنيا، وهي الأشجار وظلالها، والمياه والأنهار وأطرافها.

قوله تعالى: ﴿وَفِيكَهْرٍ كَثِيرٍ﴾ أي: ليست بالقليلة العزيزة، كما كانت في بلادهم ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي: في وقت من الأوقات كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا يُحظر عليها كثمار الدنيا^(٣).

وقيل: «وَلَا مَمْنُوعَةٍ» أي: لا يُمنع من أرادها بشوك ولا بُعْدٍ ولا حائط^(٤)، بل إذا اشتهاها العبد دَنَّتْ منه حتى يأخذها، قال الله تعالى: ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾^(٥) [الإنسان: ١٤].

وقيل: ليست مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان^(٦). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ روى الترمذي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى: «وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ» قال: «ارتفاعها لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ» قال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد. وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث: الفُرْشُ في الدرجات، وما بين الدرجات كما بين السماء والأرض^(٧).

وقيل: إنَّ الفُرْشَ هنا كناية عن النِّسَاء اللواتي في الجَنَّة، ولم يتقدَّم لهنَّ ذُكْرٌ،

(١) الصحاح (سكب).

(٢) الوسيط ٢٣٤/٤.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٩.

(٤) تفسير الطبري ٣١٨/٢٢.

(٥) سيأتي ٤٧٣/٢١.

(٦) تفسير البغوي ٢٨٣/٤.

(٧) الترمذي (٢٥٤٠) و(٣٢٩٤)، وهو عند أحمد (١١٧١٩).

ولكن قوله عز وجل: «وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ» دالٌّ؛ لأنها محلُّ النِّساءِ، فالمعنى: ونساء مرتفعتات الأقدار في حسنهنَّ وكمالهنَّ، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ أي: خلقناهنَّ خلقاً وأبدعناهنَّ إبداعاً. والعرب تُسمِّي المرأة فراشاً ولباساً وإزاراً، وقد قال تعالى: ﴿مَنْ لِبَاسٍ لَكُمْ﴾^(١) [البقرة: ١٨٧] ثم قيل على هذا: هنَّ الحور العين، أي: خلقناهنَّ من غير ولادة^(٢). وقيل: المراد نساء بني آدم، أي: خلقناهنَّ خلقاً جديداً^(٣)، وهو الإعادة، أي: أعدناهنَّ إلى حال الشباب وكمال الجمال. والمعنى: أنشأنا العجوز والصبية إنشاءً واحداً. وأضمرن ولم يتقدَّم ذكرهنَّ؛ لأنهنَّ قد دخلن في أصحاب اليمين؛ ولأنَّ الفُرْشَ كناية عن النساء كما تقدَّم.

وروي عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً﴾ قال: «منهنَّ البكر والثيب»^(٤). وقالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: سألتُ النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. غُرْبًا أَتْرَابًا﴾ فقال: «يا أمَّ سلمة هنَّ اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شُمَّطاً عُمُشاً رُمُصاً، جعلهنَّ الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء»^(٥). أسنده النحاس عن أنس قال: حدَّثنا أحمد بن عمرو، قال: حدَّثنا عمرو بن عليّ، قال: حدَّثنا أبو عاصم، عن موسى بن عبيدة، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رفعه: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً» قال: «هنَّ العجائز العُمُش الرُمُص، كُنَّ في الدنيا عُمُشاً رُمُصاً»^(٦). وقال المسيب بن شريك: قال النبي ﷺ في

(١) التذكرة ص ٤٦٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١١٢/٥.

(٣) تفسير البغوي ٢٨٣/٤.

(٤) أخرجه الطيالسي (١٣٠٧)، والطبراني ٣٢٠/٢٢ والطبراني في الكبير (٦٣٢٢)، عن سلمة بن يزيد مرفوعاً، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٩/٧: رواه الطبراني، وفيه: جابر الجعفي، وهو ضعيف.

(٥) أخرجه الطبري ٣٢٢/٢٢، والطبراني في الكبير ٢٣/٨٧٠، وفي الأوسط (٣١٦٥). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٩/٧: رواه الطبراني، وفيه: سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٢٩٦)، والطبري ٣٢٠/٢٢ من طريق موسى بن عبيدة، به. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة، وي زيد بن أبان يصفغان في الحديث.

قوله: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً» الآية، قال: «هنَّ عجائز الدنيا أنشأهنَّ الله خَلْقاً جديداً، كلِّما أتاهنَّ أزواجهنَّ وجدوهنَّ أبكاراً» فلما سمعت عائشة ذلك قال: واوجعاه! فقال لها النبي ﷺ: «ليس هناك وجع»^(١).

﴿عُرْبًا﴾ جمع عَرُوبٌ^(٢). قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: العُرْبُ: العواشق لأزواجهنَّ^(٣). وعن ابن عباس أيضاً: إِنَّهَا العَرُوبُ المَلَقَةُ. عكرمة: العَنْجَةُ^(٤). ابن زيد: بلغة أهل المدينة^(٥). ومنه قول لبيد:

وفي الخِباءِ عَرُوبٌ غيرُ فاحِشَةٍ رِيًّا الروادِفِ يَغْشَى دُونَهَا البصرُ^(٦)
وهي الشَّكِلَةُ، بلغة أهل مَكَّة^(٧). وعن زيد بن أسلم أيضاً: الحسنة الكلام^(٨).
وعن عكرمة أيضاً وقتادة: العُرْبُ: المتحَبِّباتُ إلى أزواجهنَّ^(٩). واشتقاقه من أعرب إذا بَيَّنَّ، فالعروبُ تُبَيِّنُ محبتها لزوجها بِشَكْلِ وَغُنْجٍ وَحُسْنِ كَلامٍ. وقيل: إِنَّهَا الحسنة التَّبَعْلُ؛ لتكونُ الذَّلَّ استمتاعاً^(١٠). وروى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عُرْباً» قال: «كلامهنَّ عربيٌّ»^(١١).

(١) التذكرة ص ٥٠٤-٥٠٥، وأخرجه الثعلبي كما في الكافي الشاف ص ١٦٣، وأورده البغوي في التفسير ٢٨٣/٤ عن المسيب بن شريك موقوفاً.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٥١.

(٣) زاد المسير ١٤٢/٨ عن ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل والمبرد ومجاهد، وأخرجه الطبري ٣٢٣-٣٢٥/٢٢ عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم.

(٤) تفسير البغوي ٢٨٤/٤، وأخرجه عنهما الطبري ٣٢٣-٣٢٤/٢٢، والمَلَقُ: الوُدُّ واللطف الشديد. اللسان (ملق).

(٥) النكت والعيون ٥/٤٥٥ وما بعده منه أيضاً.

(٦) شرح ديوان لبيد ص ٦١، وفيه: الخُدُوج، بدل: الخباء. وهما بمعنى.

(٧) أخرجه الطبري ٣٢٥/٢٢ عن ابن بريده، والشكلة: ذات الذَّلِّ والحُسْن والتغنُّج. اللسان (شكل).

(٨) تفسير البغوي ٢٨٤/٤، وأخرجه عنه الطبري ٣٢٥/٢٢.

(٩) النكت والعيون ٥/٤٥٥ عن عكرمة، وأخرجه الطبري ٣٢٧/٢٢ عن قتادة.

(١٠) النكت والعيون ٥/٤٥٦.

(١١) أورده ابن أبي حاتم في التفسير ٣٣٣٢/١٠ (١٨٧٩٣) بلفظ: وذكر عن سهل بن عثمان العسكري، =

وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم: «عُرْبًا»، بإسكان الراء^(١). وضمَّ الباكون، وهما جائزان في جمع فَعُول.

«أثْرَابًا» على ميلاد واحد في الاستواء وسنَّ واحدة، ثلاثٍ وثلاثين سنة. يقال في النساء: أتراب، وفي الرجال: أقران^(٢). وكانت العرب تميل إلى من تجاوزت حدَّ الصِّبَا من النساء وانحطت عن الكبر. وقيل: «أثْرَابًا» أمثالاً وأشكالاً، قاله مجاهد^(٣). السُّدِّيُّ: أتراب في الأخلاق لا تباغضَ بينهم ولا تحاسد.

﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ قيل: الحور العين للسابقين، والأتراب العُربُ لأصحاب اليمين.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ رجع الكلام إلى قوله تعالى: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» أي: هم «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» وقد مضى الكلام في معناه.

وقال أبو العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضَّحَّاك: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ» يعني من سابقي هذه الأمة، و«ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» من هذه الأمة من آخرها؛ يدلُّ عليه ما روي عن ابن عباس في هذه الآية «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» فقال النبي ﷺ: «هم جميعاً من أمّتي»^(٤).

= عن أبي علي، عن جعفر بن محمد، به. ويرقم (١٨٧٩٣) عن جعفر بن محمد، عن أبيه، ... الخبير، ولم يذكر فيه: عن جدّه.

(١) السبعة ص ٦٢٢، والتيسير ص ٢٠٧، والحجة للفراسي ٦/٢٥٨.

(٢) النكت والعيون ٥/٤٥٦.

(٣) النكت والعيون ٥/٤٥٦ وما بعده منه أيضاً، وقول مجاهد في تفسيره ٢/٦٤٨، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٣٢٩.

(٤) تفسير البغوي ٤/٢٨٥، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل ١/٣٧٨، والواحدي في الوسيط ٤/٢٣٥، والبغوي في التفسير ٤/٢٨٥، وفي إسناده: إسماعيل بن أبي عياش قال عنه ابن عدي: وعامة ما يرويه لا يتابع عليه، وهو بيّن الأمر في الضعف. ١هـ. وأورده الطبري في التفسير ٢٢/٣٣٣ = وضعفه.

وقال الواحدي^(١): أصحاب الجنة نصفان، نصف من الأمم الماضية، ونصف من هذه الأمة. وهذا يرده ما رواه ابن ماجه في «سننه» والترمذي في «جامعه» عن بريدة ابن حصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومئة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن^(٢).

و«ثلة» رفع على الابتداء، أو على حذف خبر حرف الصفة، ومجازه: لأصحاب اليمين ثلثان: ثلة من هؤلاء، وثلة من هؤلاء^(٣). والأولون: الأمم الماضية، والآخرين: هذه الأمة، على القول الثاني^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۖ فِي سُومٍ وَحَمِيمٍ ۖ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ ۖ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ۖ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْخَنِثِ الْعَظِيمِ ۖ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَاكِبًا وَعِظْمًا ۖ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۖ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۖ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۖ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۖ ثُمَّ إِنَّكُمْ إِنِّي أَضَالُونَ الْمَكِيدُونَ ۖ لَأَكْلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ۖ فَالْتَوْنَا مِنهَا الْبَطُونَ ۖ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِن الْحَمِيمِ ۖ فَشَرِبُوا شُرْبَ الْهَمِيمِ ۖ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ ذكر منازل أهل النار وسمّاهم أصحاب الشمال؛ لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، ثم عظم ذكرهم في البلاء والعذاب فقال: ﴿مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فِي سُومٍ﴾ والسموم: الريح الحارة التي تدخل في

= وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١١٨-١١٩ عن أبي بكرة مرفوعاً، وقال: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو ثقة سيئ الحفظ. اهـ. ولم نقف عليه في معجم الطبراني الثلاثة.

(١) في الوسيط ٤/٢٣٥ بنحوه.

(٢) ابن ماجه (٤٢٨٩)، والترمذي (٢٥٤٦).

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/١٢٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٢٤٥.

مَسَامُ الْبَدَنِ^(١). والمراد هنا حرُّ النار ولفحها^(٢). ﴿وَجَمِيرًا﴾ أي: ماء حارٌّ قد انتهى حرُّه^(٣)، إذا أحرقت النارُ أكبادَهم وأجسادَهم فزَعُوا إلى الحميم، كالذي يفرع من النار إلى الماء ليطفئ به الحرَّ، فيجده حميماً حاراً في نهاية الحرارة والغليان. وقد مضى في «القتال»^(٤): ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَ هُمْرًا﴾ [الآية: ١٥].

﴿وَزُلْزِلَ مَن يَحْمُومٍ﴾ أي: يفرعون من السَّموم إلى الظَّلِّ كما يفرع أهل الدنيا فيجدونه ظلاً من يَحْمُوم، أي: من دخان جهنم أسود شديد السواد. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما^(٥). وكذلك اليَحْمُوم في اللغة: الشديد السواد، وهو يَقُول من الحَمِّ، وهو الشحم المسودُّ باحتراق النار. وقيل: هو مأخوذ من الحَمَم وهو الفحم^(٦). وقال الضحَّاك: النار سوداء، وأهلها سود، وكلُّ شيء فيها أسود^(٧). وعن ابن عباس أيضاً: النار سوداء^(٨). وقال ابن زيد: اليَحْمُوم: جبل في جهنم يستغيث إلى ظلِّه أهل النار^(٩).

﴿لَا بَارِدٍ﴾ بل حارٌّ؛ لأنَّه من دخان شفير جهنم. ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ عذب، عن الضحَّاك^(١٠)، وقال سعيد بن المسيَّب: ولا حسن منظره^(١١). وكلُّ ما لا خير فيه فليس بكريم. وقيل: «وَزُلْزِلَ مَن يَحْمُومٍ» أي: من النار يُعذَّبون بها، كقوله: ﴿لَهُمْ مَن

(١) الكشاف ٥٥/٤ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٩ .

(٣) الكشاف ٥٥/٤ .

(٤) ٢٦١/١٩ .

(٥) المحرر الوجيز ٢٤٦/٥ ، وأخرجه عنهما الطبري ٣٣٥/٢٢ .

(٦) الصحاح (حمم)، وتهذيب اللغة ١٨/٤-١٩ .

(٧) تفسير البغوي ٢٨٦/٤ .

(٨) النكت والعيون ٤٥٦/٥ .

(٩) المحرر الوجيز ٢٤٦/٥ .

(١٠) أخرجه الطبري ٣٣٧/٢٢ .

(١١) تفسير البغوي ٢٨٦/٤ .

فَوَقَّعَهُمْ ظُلْمٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلْمٌ ﴿١﴾ [الزمر: ١٦].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ أي: إنما استحقوا هذه العقوبة؛ لأنهم كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام. والمترف: المنعم، عن ابن عباس وغيره. وقال السدي: «مُتْرَفِينَ» أي: مشركين^(٢).

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ أي: يقيمون على الشرك، عن الحسن والضحاك وابن زيد^(٣). وقال قتادة ومجاهد: الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه^(٤). الشعبي: هو اليمين العموس^(٥). وهي من الكبائر. يقال: حنث في يمينه، أي: لم يبرها ورجع فيها^(٦). وكانوا يقسمون أن لا بعث، وأن الأصنام أنداد الله، فذلك حنثهم، قال الله تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾^(٧) [النحل: ٢٨]. وفي الخبر: كان يتحنث في جراء، أي: يفعل ما يسقط عن نفسه الحنث، وهو الذنب^(٨).

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا﴾ هذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ﴾ من آبائكم ﴿وَالْآخِرِينَ﴾ منكم ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ يريد يوم القيامة. ومعنى الكلام القسم، ودخول اللام في قوله تعالى: «لَمَجْمُوعُونَ» هو دليل القسم في المعنى، أي: إنكم لمجموعون قسماً حقاً،

(١) معاني القرآن للزجاج ١١٣/٥ .

(٢) النكت والعيون ٤٥٧/٥ .

(٣) النكت والعيون ٤٥٧/٥ ، وأخرجه الطبري ٣٣٩/٢٢ عن الضحاك وابن زيد، وابن أبي حاتم في التفسير ٣٣٣٣/١٠ (١٨٧٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) النكت والعيون ٤٥٧/٥ ، وأخرجه عنهما الطبري ٣٣٩/٢٢-٣٤٠ .

(٥) النكت والعيون ٤٥٧/٥ .

(٦) الصحاح (حنث).

(٧) معاني القرآن للزجاج ١١٣/٥ .

(٨) الصحاح (حنث)، وتهذيب اللغة ٤٨٠/٤ .

خِلاَفَ قَسَمِكُمُ الْبَاطِلِ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ مِنْهَا أَنْصَالُونَ﴾ عن الهدى ﴿الْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث^(١). ﴿لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾ وهو شجر كرية المنظر، كرية الطعم، وهي التي ذكرت في سورة «والصافات»^(٢). ﴿قَالُوا لَنْ نَبْنَاهُ مِنْهَا أَبْطُونَ﴾ أي: من الشجرة^(٣)؛ لأنَّ المقصود من الشجرة شجرة. ويجوز أن تكون «من» الأولى زائدة، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً كأنه قال: «لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ» طعاماً. وقوله «مِنْ زُقُومٍ» صفة لشجر، والصفة إذا قدّرت الجارَّ زائداً، نصبت على المعنى، أو جررت على اللفظ، فإن قدّرت المفعول محذوفاً، لم تكن الصفة إلا في موضع جرّ.

قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: على الزقوم، أو على الأكل، أو على الشجر^(٤)؛ لأنه يذكر ويؤنث. ﴿مِنْ لَمِيمٍ﴾ وهو الماء المغلي الذي قد اشتدّ غليانه، وهو صديد أهل النار^(٥). أي: يورثهم حرّاً ما يأكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشاً، فيشربون ماء يظنون أنه يزيل العطش، فيجدونه حميماً مغلياً.

قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْإِيمَانِ﴾ قراءة نافع وعاصم وحمزة: «شُرْبٌ» بضمّ الشين، الباقون بفتحها^(٦)، لغتان جيّدتان، تقول العرب: شَرِبْتُ شُرْباً وشُرْباً وشُرْباً بضمّتين^(٧). قال أبو زيد: سمعت العرب تقول بضمّ الشين وفتحها وكسرها، والفتح هو المصدر الصحيح؛ لأنّ كلّ مصدر من ذوات الثلاث فأصله فعل، ألا ترى أنّك تردّه إلى المرّة الواحدة، فتقول: فعلة، نحو شربة، وبالضمّ الاسم. وقيل: إنّ

(١) الكشاف ٥٥/٤ .

(٢) بقوله تعالى: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ وسلف ٤١/١٨ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٧٠٢/٢ .

(٤) المحرر الوجيز ٢٤٧/٥ .

(٥) تفسير الطبري ٣٤٢/٢٢ .

(٦) السبعة ص ٦٢٣ ، والتيسير ص ٢٠٧ .

(٧) الصحاح (شرب) دون ذكر: وشُرْباً بضمّتين.

الفتح والاسم مصدران، فالشُّرب كالأكل، والشُّرب كالذُّكر، والشُّرب - بالكسر - المشروب، كالطَّحن المطحون^(١).

والهيم: الإبل العطاش التي لا تروى لذاءٍ يصيبها، عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والسُّدي وغيرهم^(٢)، وقال عكرمة أيضاً: هي الإبل المِراض^(٣). الضحَّاك: الهيم: الإبل يصيبها داء تعطش منه عطشاً شديداً، واحدها: أهيم، والأنثى: هيماء^(٤). ويقال لذلك: الداء الهيماء، قال قيس بن الملوِّح:

يقال به داء الهيماء أصابه وقد علمت نفسي مكانَ شِفائها^(٥)
وقوم هيم أيضاً، أي: عطاش، وقد هاموا هيماءً. ومن العرب من يقول في الإبل: هائم وهائمة، والجمع هيم^(٦)، قال لبيد:

أَجَزْتُ إِلَى مَعَارِفِهَا بِشُعْثٍ وَأَطْلَاحٍ مِنَ الْعَيْدِيِّ هِيمٍ^(٧)
وقال الضحَّاك والأخفش وابن عيينة وابن كيسان: الهيم: الأرض السهلة ذات الرمل^(٨). وروي أيضاً عن ابن عباس: فيشربون شرب الرمال التي لا تروى بالماء^(٩). المهديُّ: ويقال لكلِّ ما لا يروى من الإبل والرمل: أهيم وهيماء.

(١) الحجة للفارسي ٦/٢٦٠، والبيان ٢/٤١٧-٤١٨.

(٢) النكت والعيون ٥/٤٥٧، وتفسير البغوي ٤/٢٨٦، والمحزر الوجيز ٥/٢٤٧، وأخرجه الطبري ٢٢/٣٤٣ عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/٦٤٩.

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/٣٤٣.

(٤) زاد المسير ٨/١٤٥.

(٥) النكت والعيون ٥/٤٥٧، ولم تقف عليه في ديوان قيس.

(٦) تهذيب اللغة ٦/٤٦٨.

(٧) شرح ديوان لبيد ص ١٠٣، قال شارحه: شعث: رجال سيئة حالهم من الجهد والسفر. وأطلاح: إبل رزايا مهازيل. والعيدي: إبل منسوبة إلى فحل أو إلى قوم.

(٨) تفسير البغوي ٤/٢٨٦ عن الضحَّاك وابن عيينة، والصحاح (هيم) عن الأخفش.

(٩) المحزر الوجيز ٥/٢٤٧.

وفي «الصحاح»^(١): والهِيَام بالضمّ: أشدُّ العطش. والهِيَام كالجنون من العشق. والهِيَام: داء يأخذ الإبل فتهيم في الأرض لا ترعى. يقال: ناقة هَيْمَاء. والهيماء أيضاً: المفازة لا ماء بها. والهِيَام بالفتح: الرمل الذي لا يماسك أن يسيل من اليد لليينه، والجمع هَيْمٌ مثل قَدَالٍ وقُدْلٍ. والهِيَام بالكسر: الإبل العطاش، الواحد هَيْمَان، وناقة هَيْمَى مثل عطشان وعطشى.

قوله تعالى: ﴿هَذَا نُزُلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: رزقهم الذي يُعَدُّ لهم، كالنُّزُل الذي يُعَدُّ للأضياف؛ تكرمة لهم، وفيه تهكُّم، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وكقول أبي الشعر^(٢) الضَّبِّي:

وكنّا إذا الجبّارُ بالجيشِ ضاقنا جعلنا القنأ والمرهفات له نُزلاً
وقرأ يونس بن حبيب وعباس عن أبي عمرو: «هَذَا نُزْلُهُمْ» بإسكان الزاي^(٣)، وقد مضى في آخر «آل عمران»^(٤) القول فيه. «يَوْمَ الدِّينِ» يوم الجزاء، يعني في جهنم.

قوله تعالى: ﴿مَنْ خَلَقْتُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ مَنْ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيْنَ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ خَلَقْتُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلّا تصدّقون بالبعث^(٥)؟ لأنّ

(١) مادة: (هيم).

(٢) في (م) و(د): السعد، والمثبت من (ظ) والكشاف ٥٦/٤، وأورده أيضاً الزمخشري في الكشاف ٤٩١/١ وسماه: أبو الشعراء الضبي.

(٣) قراءة أبي عمرو في السبعة ص ٦٢٣، وأوردها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١ وقال: هذا نزلهم، بالإسكان، هارون عن أبي عمرو وعياش.

(٤) ٤٨٣/٥.

(٥) تفسير البغوي ٢٨٧/٤.

الإعادة كالابتداء. وقيل: المعنى: نحن خلقنا رزقكم، فهلاً تصدقون أن هذا طعامكم^(١) إن لم تؤمنوا؟.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ أي: ما تصبؤونه من المني في أرحام النساء^(٢). ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: ما تصورون منه الإنسان ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ المقدرّون المصورون^(٣). وهذا احتجاج عليهم وبيان للآية الأولى، أي: إذا أقرتم بأننا خالقوه لا غيرنا، فاعترفوا بالبعث. وقرأ أبو السّمّال ومحمد بن السميع وأشهب العقيلي: «تَمْنُونَ» بفتح التاء^(٤)، وهما لغتان أمني ومنى، وأمذى ومذى، يُمني ويمني، يُمذي ويمذي^(٥).

الماوردي^(٦): ويحتمل أن يختلف معناهما عندي، فيكون أمني: إذا أنزل عن جماع. ومنى: إذا أنزل عن الاحتلام. وفي تسمية المني مَنِيًّا وجهان: أحدهما: لإمائه وهو إراقتة. الثاني: لتقديره، ومنه المَنَّا الذي يُوزَن به^(٧)؛ لأنه مقدار لذلك، كذلك المني مقدار صحيح لتصوير الخلق.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ احتجاج أيضاً، أي: الذي يقدر على الإماتة يقدر على الخلق، وإذا قدر على الخلق قدر على البعث.

(١) النكت والعيون ٤٥٨/٥ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٠ .

(٣) الكشف ٥٦/٤ .

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥١ ، والكشاف ٥٦/٤ عن أبي السّمّال، والمحرد الوجيز ٢٤٨/٥ عن ابن عباس وأبي السّمّال.

(٥) معاني القرآن للفراء ١٢٨/٣ .

(٦) في النكت والعيون ٤٥٨/٥ .

(٧) المَنَّا، والمنُّ بلغة تميم، والمنَّا أفصح: كيل يكال به السمن، أو ميزان يوزن به، ويقدر بنصف كيلو غرام تقريباً في زماننا، أو يزيد أو ينقص قليلاً حسب نوعه، فمنه المنّا المصري وهو ٤١٢/٣٤٧ غرام، والرومي وهو ٥٤١/٦٤٣ غرام، والطبي وهو ٦١٨/٥٦٣ غرام. معجم متن اللغة ٨٦/١ ، ومادة (منن) و(مني).

وقرأ مجاهد وحُميد وابن مُحَيِّصن وابن كثير: «قَدَرْنَا» بتخفيف الدال، الباقون بالتشديد^(١).

قال الضحَّاك: أي: سوَّينا بين أهل السماء وأهل الأرض^(٢). وقيل: قضينا. وقيل: كتبنا^(٣). والمعنى متقارب، فلا أحد يبقى غيره عزَّ وجلَّ.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ أي: إن أردنا أن نبَدِّل أمثالكم لم يسبقنا أحد^(٤)، أي: لم يغلِبنا. «وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» معناه: بمغلوبين^(٥). وقال الطبري^(٦): المعنى: نحن قَدَرْنَا بينكم الموت على أن نبَدِّل أمثالكم بعد موتكم بأخريين من جنسكم، وما نحن بمسبوقين في آجالكم، أي: لا يتقدَّم متأخِّر، ولا يتأخَّر متقدِّم.

﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور والهيئات^(٧). قال الحسن: أي: نجعلكم قردةً وخنازير كما فعلنا بأقوام قبلكم^(٨). وقيل: المعنى: ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا، فيجمل المؤمنُ بياض وجهه، ويُقبَّح الكافرُ بسواد وجهه^(٩). سعيد ابن المسيب^(١٠): قوله تعالى: «فِيَمَا لَا تَعْلَمُونَ» يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت، كأنها الخطاطيف، وبرهوت: وادٍ في اليمن. وقال مجاهد: «فِيَمَا لَا تَعْلَمُونَ»

(١) قراءة ابن كثير في السبعة ص ٦٢٣، والتيسير ص ٢٠٧.

(٢) تفسير البغوي ٤/٢٨٧.

(٣) النكت والعيون ٥/٤٥٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/١١٤.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٠.

(٦) في التفسير ٢٢/٣٤٧-٣٤٨.

(٧) تفسير أبي الليث ٣/٣١٨.

(٨) تفسير البغوي ٤/٢٨٧.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٤/٣٣٩ بنحوه.

(١٠) في النسخ عدا (ظ): جبير، والمثبت (ظ) وتفسير البغوي ٤/٢٨٧ والكلام منه.

في أيِّ خَلَقْ شَيْئاً^(١). وقيل: المعنى: ننشئكم في عالم لا تعلمون، وفي مكان لا تعلمون.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى﴾ أي: إذ خُلِقْتُمْ من نُطفة، ثم من عَلَقَة، ثم من مُضْغَة^(٢)، ولم تكونوا شيئاً، عن مجاهد^(٣) وغيره. قتادة والضحاك: يعني خَلَقْ آدم عليه السلام^(٤). ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلاً تذكرون. وفي الخبر: عجباً كلُّ العجب للمكذَّب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجباً للمصدِّق بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار^(٥).

وقراءة العامة: «النَّشَأَة» بالقصر. وقرأ مجاهد والحسن وابن كثير وأبو عمرو: «النَّشَاءَة» بالمدِّ، وقد مضى في «العنكبوت»^(٦) بيانه.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ١٣ ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ١٤ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ١٥ ﴿إِنَّا لَمَعْرِضُونَ﴾ ١٦ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ١٧

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ هذه حجة أخرى، أي: أخبروني عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البذر، أنتم تبتنونه وتحصلونه زرعاً فيكون فيه السنبل والحبُّ، أم نحن نفعل ذلك^(٧)؟ وإنما منكم البذر وسقُّ الأرض، فإذا أقررتم بأنَّ إخراج السنبل من الحبِّ ليس إليكم، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم؟! وأضاف الحرث إليهم، والزرع إليه تعالى؛ لأنَّ الحرث فعلهم ويجري

(١) تفسير مجاهد ٢/٦٥٠، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٣٤٦.

(٢) الوسيط ٤/٢٣٧.

(٣) في تفسيره ٢/٦٥٠.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٧٢، والطبري ٢٢/٣٤٧ عن قتادة.

(٥) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم ٦/٣٢٨ عن علي بن الحسين بنحوه.

(٦) ١٦/٣٥٢.

(٧) تفسير الطبري ٢٢/٣٤٨.

على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى ونبت على اختياره لا على اختيارهم^(١). وكذلك ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقولنَّ أحدكم: زرعْتُ، وليقل: حرثْتُ، فإنَّ الزارع هو الله» قال أبو هريرة: ألم تسمعوا قول الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَتَمَنَّوْنَ الزَّرْعُونَ﴾^(٢).

والمستحبُّ لكلُّ من يُلقي البذر في الأرض أن يقرأ بعد الاستعاذة: «أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ» الآية، ثم يقول: بل الله الزارع والمنبت والمبلغ، اللهم صلِّ على محمد، وارزقنا ثمره، وجنِّبنا ضرره، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وبارك لنا فيه يا ربَّ العالمين. ويقال: إنَّ هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات؛ الدود والجراد وغير ذلك، سمعناه من ثقة، وجُرب فوجد كذلك.

ومعنى «أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ» أي: تجعلونه^(٣). وقد يقال: فلان زرع كما يقال: حرَّاث، أي: يفعل ما يؤول إلى أن يكون زرعاً يعجب الزرع. وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الأرض وتكريبها^(٤) تجوُّزاً.

قلت: فهو نهى إرشاد وأدب، لا نهى حظر وإيجاب، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يقولنَّ أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: غلامي وجاريتي، وفَتاتي وفَتاتي»^(٥) وقد مضى في «يوسف»^(٦) القول فيه. وقد بالغ بعض العلماء فقال:

(١) النكت والعيون ٥/٤٦٠، وما بعده منه أيضاً.

(٢) أخرجه البزار (١٢٨٩ كشف الأستار)، والطبري (٢٢/٣٤٨)، وابن حبان في صحيحه (٥٧٢٣)، والطبراني في الأوسط (٨٠٢٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/١٢٠: رواه الطبراني في الأوسط والبزار، وفيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات. اهـ. قلنا: مسلم ابن أبي مسلم الجرمي ذكره ابن حبان في الثقات ٩/١٥٨، ووثقه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣/١٠٠.

(٣) بعدها في (م): زرعاً.

(٤) كَرَب الأرض يكربها كَرْباً وكِراباً: قَلَبها للحرث، وأثارها للزرع. اللسان (كرب).

(٥) سلف ٦/٢١٣.

(٦) ٣٥٤/١١.

لا يقل: حرثت فأصبت، بل يقل: أعانني الله فحرثت، وأعطاني بفضل ما أصبت. قال الماوردي^(١): وتتضمن هذه الآية أمرين: أحدهما: الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم. الثاني: البرهان الموجب للاعتبار بأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره، وانتقاله إلى استواء حاله من العفن والتتريب حتى صار زرعاً أخضر، ثم جعله قوياً مشتداً أضعاف ما كان عليه، فهو بإعادة من أमत أخف عليه وأقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة.

ثم قال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أي: متكسراً: يعني الزرع. والحطام: الهشيم الهالك الذي لا يُتفَع به في مطعم ولا غذاء، فنبه بذلك أيضاً على أمرين: أحدهما: ما أولاهم به من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً ليشكره. الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنه يجعل الزرع حطاماً إذا شاء، وكذلك يهلكهم إذا شاء ليتعظوا فينجزوا^(٢).

﴿فَطَلَّتُمْ تَفَكُّهُونَ﴾ أي: تعجبون بذهابها، وتندمون مما حلَّ بكم، قاله الحسن وقتادة وغيرهما^(٣). وفي «الصحاح»^(٤): وتفكَّه، أي: تعجَّب، ويقال: تندَّم، قال الله تعالى: ﴿فَطَلَّتُمْ تَفَكُّهُونَ﴾ أي: تندمون. وتفكَّهت بالشيء: تمتعت به.

وقال يمان: تندمون على نفقاتكم، دليله: ﴿فَأَصْبَحَ يُفَكِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢]. وقال عكرمة: تلاومون^(٥) وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله التي أوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم. ابن كيسان: تحزنون^(٦). والمعنى متقارب.

(١) في النكت والعيون ٤٦٠/٥.

(٢) النكت والعيون ٤٦٠/٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٠/٤، وأخرجه عنهما الطبري ٣٥٠/٢٢.

(٤) مادة: (فكه).

(٥) تفسير البغوي ٢٨٧/٤، وتمة قول عكرمة ذكره عن الحسن لا عن عكرمة، وكذلك ذكره الزمخشري في الكشاف ٥٧/٤ عن الحسن.

(٦) النكت والعيون ٤٦٠/٥.

وفيه لغتان: تَفَكَّهُونَ وَتَفَكَّهونَ^(١)، قال الفراء: والنون لغة عُكَل^(٢). وفي الصحاح^(٣): التفكَّن: التندُّم على ما فات. وقيل: التفكَّه: التكلُّم فيما لا يعينك، ومنه قيل للمزاح: فُكاهة، بالضمِّ، فأما الفُكاهة - بالفتح - فمصدر فِكِهَ الرجلُ - بالكسر - فهو فِكِهٌ: إذا كان طيب النفس مَرَّاحاً^(٤).

وقراءة العامة: «فَطَلْتُمْ» بفتح الظاء. وقرأ عبد الله: «فَطَلْتُمْ» بكسر الظاء^(٥)، ورواها هارون عن حسين عن أبي بكر. فمن فتح فعلى الأصل، والأصل: ظَلَلْتُمْ، فحذف اللام الأولى تخفيفاً، ومن كسر نقل كسرة اللام الأولى إلى الظاء ثم حذفها.

﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾ وقرأ أبو بكر والمفضل: «أُنِنَّا» بهمزيين على الاستفهام^(٦)، ورواه عاصم عن زُرِّ بن حُبَيْش. الباقرن بهمزة واحدة على الخبر، أي: يقولون: «إِنَّا لَمُعْرَمُونَ» أي: معذبون، عن ابن عباس وقتادة قالوا: والغرام: العذاب^(٧)، ومنه قول ابن المحلِّم:

وثقت بأنَّ الحِفظَ منِّي سَجِيَّةٌ وَأَنَّ فؤادي مُثَبَّلٌ بك مغرم^(٨)

وقال مجاهد وعكرمة: لمولع بنا^(٩)، ومنه قول النَّمِر بن تَوْلَب:

سَلَا عن تَذْكَرِه تَكْتَمَا وَكان رَهِيناً بها مُغْرَمًا^(١٠)

(١) تهذيب اللغة ٢٨٠/١٠ ونسبها إلى تميم.

(٢) الأضداد لأبي بكر الأنباري ص ٦٥ دون عزوه للفراء.

(٣) مادة: (فكن).

(٤) الصحاح (فكه).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/٣٤٠-٣٤١.

(٦) السبعة ص ٦٢٣، والتيسير ص ٢٠٧.

(٧) تفسير البغوي ٤/٢٨٨، وأخرجه الطبري ٢٢/٣٥٢ عن قتادة.

(٨) النكت والعيون ٥/٤٦١.

(٩) تفسير البغوي ٤/٢٨٨.

(١٠) مختارات ابن الشجري ص ١٦، ومنتهى الطلب لابن ميمون ١/٢٨٦.

يقال: أغرم فلانٌ بفلانة، أي: أولع بها، ومنه الغرام، وهو الشترُّ اللازم^(١). وقال مجاهد أيضاً: لملقون شراً^(٢). وقال مقاتل بن حيان: مهلكون. النحاس^(٣): «إِنَّا لَمُعْرَمُونَ» مأخوذ من العَرم وهو الهلاك، كما قال:

يَوْمُ النَّسَارِ وَيَوْمُ الْجِفَا رِ كَانَا عَذَابًا وَكَانَا غَرَامًا^(٤)
الضحَّاك وابن كيسان: هو من العُرم، والمُعرم: الذي ذهب ماله بغير عوض^(٥)،
أي: غرِمنا الحبَّ الذي بذرناه. وقال مرة الهمداني: محاسبون.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حرمنا ما طلبنا من الريح^(٦). والمحروم: الممنوع من الرزق. والمحروم ضدُّ المرزوق، وهو المحارِف في قول قتادة^(٧). وعن أنس: أنَّ النبي ﷺ مرَّ بأرض الأنصار فقال: «ما يمنعكم من الحرث؟» قالوا: الجدوبة. فقال: «لا تفعلوا، فإنَّ الله تعالى يقول: أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء، وإن شئت زرعت بالريح، وإن شئت زرعت بالبذر» ثم تلا: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ»^(٨).

قلت: وفي هذا الخبر والحديث الذي قبله ما يصحح قولَ من أدخل الزارع في أسماء الله سبحانه، وأباه الجمهور من العلماء، وقد ذكرنا ذلك في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی»^(٩).

(١) تهذيب اللغة ٨/ ١٣١ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٥٠ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٥٢ .

(٣) في إعراب القرآن له ٤/ ٣٤١ .

(٤) القائل بشر بن أبي خازم الأسدي، وهو في ديوانه ص ١٩٨ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(٦) الوسيط ٤/ ٢٣٨ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٢ ، والطبري ٢٢/ ٣٥٣ .

(٨) لم تقف عليه.

(٩) ص ٩٤ و ١٠٣ .

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَتَعًا لِلْمُقْرِبِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ لتحياوا به أنفسكم، وتسكنوا به عطشكم؛ لأنَّ الشراب إنما يكون تبعاً للمطعم، ولهذا جاء الطعام مقدماً في الآية قبل، ألا ترى أنك تسقي ضيفك بعد أن تطعمه. الزمخشري: ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء:

إِذَا سُقِيَتْ ضُيُوفُ النَّاسِ مَحْضًا سَقَوْا أَضْيَافَهُمْ شَيْمًا زُلَالًا^(١)
وسقي بعض العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثميلة^(٢).

﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ أي: السحاب، الواحدة: مُزْنَةٌ^(٣)، فقال الشاعر:

فَنَحْنُ كَمَا الْمُزْنِ مَا فِي نَصَابِنَا كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلٌ^(٤)

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما أنَّ الْمُزْنَ السَّحَابُ^(٥). وعن ابن عباس أيضاً والثوري: الْمُزْنُ: السَّمَاءُ وَالسَّحَابُ^(٦). وفي «الصَّحاح»^(٧): أبو زيد: الْمُزْنَةُ: السَّحَابَةُ الْبَيْضَاءُ، وَالْجَمْعُ: مُزْنٌ، وَالْمُزْنَةُ: الْمَطْرَةُ، قَالَ:

(١) الكشاف ٥٧/٤، وما بعده منه أيضاً، والمحض: اللبن الخالص الذي لم يخالطه ماء. والشيم: الماء البارد. اللسان (محض) و(شيم).

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٣٦٥/٢ وقال: أي: على شيء في بطنه. ويقال: ثمل الرجل: إذا سكر.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٥٢/٢.

(٤) القائل: السموأل بن عادي اليهودي، والبيت في ديوانه ص ٦٩، والنصاب: الأصل. ورجل كهام وكهيم: ثقيل مسنٌ دثور لا غناء عنده. اللسان (نصب) و(كهيم).

(٥) أخرجه الطبري ٣٥٤/٢٢ عن مجاهد وقتادة وابن زيد، وقول مجاهد في تفسيره ٦٥١/٢.

(٦) أخرجه الطبري ٣٥٤/٢٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) مادة: (مزن).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مُزْنَةً وَعُفْرُ الطُّبَاءِ فِي الْكِنَاسِ تَقَمَّعٌ^(١)
﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ أي: فإذا عرفتم بأنّي أنزلته، فلم لا تشكروني بإخلاص العبادة
لي؟ ولم تنكروني قدرتي على الإعادة؟ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجْحَامًا﴾ أي: ملحاً شديد
الملوحة، قاله ابن عباس. الحسن: مرّاً^(٢) فَعَاعًا لا تنتفعون به في شرب ولا زرع ولا
غيرهما^(٣). ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلاً تشكرون الذي صنع ذلك بكم^(٤).

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي: أخبروني عن النار التي تظهرونها
بالقدح من الشجر الرطب ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ يعني التي تكون منها الزناد، وهي
المرخ والعفار^(٥)، ومنه قولهم: في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار، أي:
استكثر منها^(٦)، كأنهما أخذتا من النار ما هو حسبهما، ويقال: لأنهما يسرعان
الوَرِي، يقال: أوريث النار: إذا قدحتها، وورى الزند يري: إذا انقدح منه النار. وفيه
لغة أخرى: وورى الزند يري بالكسر فيهما^(٧). ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ أي: المخترعون
الخالقون، أي: فإذا عرفتم قدرتي فاشكروني، ولا تنكروا قدرتي على البعث.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ يعني نار الدنيا موعظة للنار الكبرى، قاله قتادة.
ومجاهد: تبصرة للناس من الظلام^(٨). وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ناركم هذه
التي يؤفد بنو آدم جزءاً من سبعين جزءاً من نار جهنم» فقالوا: يا رسول الله، إن كانت

(١) القائل: أوس بن حجر، وهو في ديوانه ص ٥٧، والكناس: مَوْلج الوحش من الطباء والبقر تستكن في
من الحَرّ. اللسان (كنس)، قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٦٠٦/٢: تقمّع: تطرد عنها القمعة، وهو
ذباب أزرق، يقول: خصّه الله بهذه المزنة في غير وقت مطر في الحر، والذباب لم يخف ولم يذهب.

(٢) تفسير البغوي ٢٨٨/٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٢/٤ والقَعَاع: الماء المرّ الغليظ. اللسان (قعع).

(٤) معاني القرآن للزجاج ١١٥/٥.

(٥) تفسير البغوي ٢٨٨/٤.

(٦) الكامل للمبرد ٢٧٥-٢٧٦، والمثل في المستقصى للزمخشري ١٨٣/٢.

(٧) الصحاح (وري).

(٨) النكت والعيون ٤٦١/٥.

لكافية. قال: «فإنها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً، كلُّهنَّ مثلُ حرِّها»^(١).

﴿وَمَتَّعَنَا لِّلْمُقَوِّينَ﴾ قال الضَّحَّاك: أي: منفعة للمسافرين، سَمُّوا بذلك؛ لنزولهم القَوَى، وهو القَفْر^(٢). الفراء^(٣): إنَّما يقال للمسافرين: مُقَوِّين إذا نزلوا القَيِّ، وهي الأرض القَفْر التي لا شيء فيها. وكذلك القَوَى والقَوَاء بالمد والقصر، ومنزلُ قواء: لا أنيسَ به، يقال: أقوتِ الدار وقويتِ أيضاً، أي: خلَّتْ من سَكَّانها^(٤)، قال النابغة:

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلَياءِ فَالسَّنَدِ أقوتُ و طالَ عليها سالفُ الأمدِ^(٥)
وقال عنترة:

حُيِّتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أقوى وأقفرَ بعدَ أمِّ الهَيْثِمِ^(٦)
ويقال: أقوى، أي: قَوِيَّ وقَوِيَّ أصحابه^(٧)، وأقوى: إذا سافر، أي: نزل القَوَاء والقَيِّ. وقال مجاهد: «لِلْمُقَوِّينَ» المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ والحَبْز والاصطلاء والاستضاءة^(٨)، ويتذكَّرُ بها نار جهنَّم فيستجار بالله منها. وقال ابن زيد: للجائعين في إصلاح طعامهم^(٩). يقال: أقويت منذ كذا وكذا، أي: ما أكلت شيئاً^(١٠)، ويات فلان القَوَاء، ويات القفر: إذا بات جائعاً على غير طَعْمٍ^(١١)، قال

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)، وأحمد (٨١٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) النكت والعيون ٤٦١/٥، وأخرجه عنه الطبري ٣٥٧/٢٢.

(٣) في معاني القرآن له ١٢٩/٣.

(٤) الصحاح (قوا).

(٥) سلف ٤٧٤/١٠.

(٦) سلف ١٠٧/٢.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٣/٤.

(٨) تفسير البغوي ٢٨٨/٤، والصحاح (قوا).

(٩) النكت والعيون ٤٦١/٥، وأخرجه عنه الطبري ٣٥٨/٢٢.

(١٠) تفسير الطبري ٣٥٨/٢٢.

(١١) الصحاح (قوا)، وما بعده منه أيضاً.

الشاعر:

وإني لأختارُ القَوَى طَاوِي الحَشَى مَحَافِظَةً من أن يُقالَ لئِيم^(١)
 وقال الربيع والسدي: «المُفَوِين» المنزلين الذين لا زناد معهم؛ يعني ناراً يوقدون
 فيختبزون بها؟ ورواه العوفي عن ابن عباس. وقال قُطْرِب: المُفَوِي من الأضداد يكون
 بمعنى الفقير، ويكون بمعنى الغني، يقال: أقوى الرجل: إذا لم يكن معه زاد.
 وأقوى: إذا قويت دوابه وكثر ماله^(٢). المهدي: والآية تصلح للجميع؛ لأن النار
 يحتاج إليها المسافر والمقيم والغني والفقير. وحكى الثعلبي أن أكثر المفسرين على
 القول الأول. القشيري: وخصَّ المسافر بالانتفاع بها؛ لأن انتفاعه بها أكثر من منفعة
 المقيم؛ لأن أهل البادية لا بدَّ لهم من النار يوقدونها ليلاً؛ لتهرب منهم السباع، وفي
 كثير من حوائجهم.

قوله تعالى: ﴿فَسَجَّ بِأَسْرِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: فترَّه الله عما أضافه إليه المشركون
 من الأنداد، والعجز عن البعث.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُورِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ
 ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
 تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ «لا» صلة في قول أكثر المفسرين،
 والمعنى: فأقسم^(٣)؛ بدليل قوله: «وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ». وقال الفراء: هي نفي، والمعنى:

(١) أورده المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٤/١٧١٥ ولم ينسبه، وجاءت رواية صدره عنده:

لقد كنت أختار القرى طاوي الحشا

ثم قال: وبعضهم رواه: «لقد كنت أختار القَوَى»، وزعم أنه مقصور من القَوَاء، وليس بشيء. اهـ.

(٢) تفسير البغوي ٤/٢٨٨.

(٣) تفسير البغوي ٤/٢٨٩.

ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف «أُقْسِمُ»^(١). وقد يقول الرجل: لا والله ما كان كذا. فلا يريد به نفي اليمين، بل يريد به نفي كلام تقدّم. أي: ليس الأمر كما ذكرت، بل هو كذا. وقيل: «لا» بمعنى «ألا» للتنبيه كما قال:

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الظُّلُّ البَالِي^(٢)

ونبه بهذا على فضيلة القرآن؛ ليتدبروه، وأنه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا^(٣).

وقرأ الحسن وحميد وعيسى بن عمر: «فَلَا أُقْسِمُ»^(٤) بغير ألف بعد اللام على التحقيق: وهو فعل حال، ويقدر مبتدأ محذوف، التقدير: فلأنا أقسم بذلك. ولو أريد به الاستقبال للزمت النون، وقد جاء حذف النون مع الفعل الذي يراد به الاستقبال، وهو شاذ.

الثانية: قوله تعالى: ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ مواقع النجوم: مساقطها ومغاربها، في قول قتادة وغيره^(٥). عطاء بن أبي رباح: منازلها. الحسن: انكدارها وانتثارها يوم القيامة^(٦). الضحّاك: هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية يقولون إذا مُطِرُوا قالوا: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا. الماوردي^(٧): ويكون قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ مستعملاً على حقيقته من نفي القسم. القشيري: هو قَسَمَ، ولله تعالى أن يُقْسِمَ بما يريد، وليس لنا أن نُقْسِمَ بغير الله تعالى وصفاته القديمة.

(١) تفسير الطبري ٣٥٩/٢٢ ولم ينسبه.

(٢) القائل امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص ٢٧، وتامه:

وهل يَعْمَنُ من كان في العَصْرِ خاليا

(٣) تفسير البغوي ٢٨٩/٤.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحتسب ٣٠٩/٢، وما بعده منه، ومن الكشف ٥٨/٤.

(٥) أخرجه الطبري ٣٦٠-٣٦١/٢٢ عن قتادة ومجاهد، وقول مجاهد في تفسيره ٦٥٢/٢.

(٦) تفسير البغوي ٢٨٩/٤، وأخرجه الطبري ٣٦١/٢٢ عن الحسن.

(٧) في النكت والعيون ٤٦٣/٥، وما قبله منه أيضاً.

قلت: يدلُّ على هذا قراءة الحسن: «فَلَأُقَسِّمُ» وما أقسم به سبحانه من مخلوقاته في غير موضع من كتابه. وقال ابن عباس: المراد بمواقع النجوم: نزول القرآن نجوماً، أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السَّفَرَةِ الكَاتِبِينَ، فنَجَّمَهُ السَّفَرَةَ على جبريل عشرين ليلةً، ونَجَّمَهُ جبريل على مُحَمَّدٍ عليهما الصلاة والسلام عشرين سنةً، فهو ينزله على الأحداث من أمته، حكاه الماوردي^(١) عن ابن عباس والسُّدِّيِّ.

وقال أبو بكر الأنباري: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنِ الْكَلْبِيِّ، عَنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَ الْقُرْآنُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا جَمَلَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ نَجُومًا، وَفُرِّقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَمْسَ آيَاتٍ خَمْسَ آيَاتٍ، وَأَقْلَبَ وَأَكْثَرَ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ»^(٢).

وحكى الفراء^(٣) عن ابن مسعود أنَّ مَوَاقِعَ النُّجُومِ هُوَ مُحَكَّمُ الْقُرْآنِ.

وقرأ حمزة والكسائي: «بِمَوْقِعٍ»^(٤) على التوحيد، وهي قراءة عبد الله بن مسعود والنَّخَعِيِّ والأعمش وابن مُحَيِّصِنٍ وَرُوَيْسٍ عَنِ يَعْقُوبِ. الباقون على الجمع؛ فمن أفرد؛ فلأنه اسم جنس يؤدي الواحد فيه عن الجمع، ومن جمع؛ فلاختلاف أنواعه^(٥).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ قيل: إنَّ الهاء تعود على القرآن، أي: إنَّ القرآن لَقَسَمٌ عَظِيمٌ، قاله ابن عباس وغيره^(٦). وقيل: ما أقسم الله به عظيم «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ

(١) في النكت والعيون ٤٦٣/٥.

(٢) وأخرجه مجاهد في تفسيره ٦٥١/٢، والطبري ٣٥٩/٢٢ من طريق حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٣) في معاني القرآن له ١٢٩/٣ بإسناده إلى ابن مسعود.

(٤) السبعة ص ٦٢٤، والتيسير ص ٢٠٧، والنشر ٣٨٣/٢.

(٥) الحجة للفارسي ٢٦٣/٦.

(٦) النكت والعيون ٤٦٣/٥.

كَرِيمٌ» ذكر المقسم عليه، أي: أقسم بمواقع النجوم إنَّ هذا القرآن قرآن كريم^(١)، ليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفتري، بل هو قرآن كريم محمود، جعله الله تعالى معجزةً لِنَبِيِّهِ ﷺ، وهو كريم على المؤمنين؛ لأنَّه كلام ربِّهم، وشفاء صدورهم، كريم على أهل السماء؛ لأنَّه تنزيل ربِّهم ووحيه.

وقيل: «كَرِيمٌ» أي: غير مخلوق. وقيل: «كَرِيمٌ» لما فيه من كريم الأخلاق ومعاني الأمور^(٢). وقيل: لأنَّه يُكْرَمُ حافظه، ويُعْظَمُ قارئه.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ مصون عند الله تعالى^(٣). وقيل: مكنون: محفوظ عن الباطل^(٤). والكتاب هنا كتاب في السماء، قاله ابن عباس^(٥). وقال جابر بن زيد وابن عباس أيضاً: هو اللوح المحفوظ^(٦). عكرمة: التوراة والإنجيل فيهما ذُكِرَ القرآن ومن ينزل عليه. السُّدِّيُّ: الزبور. مجاهد وقتادة: هو المصحف الذي في أيدينا^(٧).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ اختلف في معنى «لَا يَمَسُّهُ» هل هو حقيقة في المسِّ بالجراحة أو معنَى؟ وكذلك اختلف في «الْمُطَهَّرُونَ» من هم؟ فقال أنس وسعيد بن جبير: لا يمسُّ ذلك الكتاب إلا المطهَّرون من الذنوب، وهم الملائكة^(٨). وكذا قال أبو العالية وابن زيد: إنَّهم الذين طهَّروا من الذنوب كالرُّسل

(١) الوسيط ٤/٢٣٩.

(٢) النكت والعيون ٥/٤٦٣.

(٣) تفسير البغوي ٤/٢٢٤.

(٤) النكت والعيون ٥/٤٦٣، وما بعده منه أيضاً.

(٥) أخرجه عنه مجاهد في تفسيره ٢/٦٥٢، والطبري ٢٢/٣٦٢.

(٦) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/٣٦٣.

(٧) النكت والعيون ٥/٤٦٣، وأخرج قول عكرمة الطبري ٢٢/٣٦٥.

(٨) تفسير البغوي ٤/٢٨٩، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه الطبري ٢٢/٣٦٤-٣٦٦ عن سعيد بن جبير وأبي

العالية وابن زيد، وذكره ابن المنذر في الأوسط ٢/١٠٣ عن أنس.

من الملائكة والرُّسل من بني آدم، فجبريل النازل به مُطَهَّر، والرسل الذين يجيئهم بذلك مُطَهَّرُونَ. الكلبيُّ: هم السَّفَرَةُ الكرام البررة^(١). وهذا كله قول واحد، وهو نحو ما اختاره مالك حيث قال: أحسن ما سمعتُ في قوله: «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»: أنها بمنزلة الآية التي في «عَبَسَ وَتَوَلَّى»: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ . فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . تَرْفَعُهُمْ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرِيمٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٢-١٦] ويريد أن المطهَّرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة «عبس»^(٢).

وقيل: معنى «لَا يَمَسُّهُ» لا ينزل به «إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» أي: الرسل من الملائكة على الرسل من الأنبياء^(٣). وقيل: لا يمسُّ اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون إلا الملائكة المطهَّرون^(٤). وقيل: إن إسرافيل هو الموكَّل بذلك، حكاه القشيريُّ. ابن العربي^(٥): وهذا باطل؛ لأنَّ الملائكة لا تناله في وقت ولا تصل إليه بحال، ولو كان المراد به ذلك لما كان للاستثناء فيه مجال. وأما من قال: إنَّه الذي بأيدي الملائكة من الصحف، فهو قول محتمل، وهو اختيار مالك.

وقيل: المراد بالكتاب المصحف الذي بأيدينا^(٦)، وهو الأظهر. وقد روى مالك وغيره أن في كتاب عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله ﷺ ونسخته: «من محمَّد النبيِّ إلى شُرْحَبِيل بن عبد كُلال والحارث بن عبد كُلال ونُعَيْم بن عبد كُلال قِيلَ ذِي رُعَيْنٍ وَمَعَاظِرٍ وَهَمْدَانٍ: أما بعد، وكان في كتابه: ألا يمسُّ القرآن إلا طاهر^(٧)».

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٦، وقول مالك في الموطأ ١/ ١٩٩.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ وعزاه إلى ابن زيد.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٦.

(٥) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٥-١٧٢٦.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٦، والحديث عند مالك في الموطأ ١/ ١٩٩ - ومن طريقه أبو داود في المراسيل (٩٣) - عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم مرسلًا. وأخرجه أيضاً أبو داود في المراسيل =

وقال ابن عمر: قال النبي ﷺ: «لا تمسَّ القرآنَ إلا وأنت طاهر»^(١). وقالت أخت عمر لعمر عند إسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة: «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» فقام واغتسل وأسلم^(٢). وقد مضى في أوَّل سورة «طه»^(٣). وعلى هذا المعنى قال قتادة وغيره: «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» من الأحداث والأنجاس. الكلبي: من الشُّرك. الربيع ابن أنس: من الذنوب والخطايا^(٤).

وقيل: «لا يَمَسُّهُ»: لا يقرؤه «إلا المطهَّرون» إلا الموحِّدون، قاله محمد بن فضيل وعَبْدَةُ. قال عكرمة: كان ابن عباس ينهى أن يُمكن أحدٌ من اليهود والنصارى من قراءة القرآن^(٥).

وقال الفراء^(٦): لا يجد طعمه ونفعه وبركته إلا المطهَّرون، أي: المؤمنون بالقرآن. ابن العربي^(٧): وهو اختيار البخاري، قال النبي ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً». وقال الحسين بن الفضل:

= (٩٢) و(٩٤)، والدارقطني ١٢١/١ من طرق أخرى مرسلأ، قال أبو داود: روي هذا الحديث مسندأ، ولا يصح. اهـ. وقال الدارقطني عن إحدى طرقه: مرسل، ورواه ثقات. اهـ.

وأخرجه موصولاً ابن حبان في صحيحه (٦٥٥٩)، والدارقطني ١٢٢/١، والحاكم في المستدرک ٣٩٧/١، والبيهقي ٨٩/٤ مطولاً، وفي إسناده: سليمان بن أرقم، وهو متروك الحديث، وقد أخطأ بعض الرواة فسماه سليمان بن داود، ينظر التفصيل في ذلك في الجوهر النقي ٨٩/٤.

قال ابن عبد البر في الاستذكار ١٠/٨، وفي التمهيد ٣٩٧/١٧: وكتاب عمرو بن حزم هذا تلقاه العلماء بالقبول والعمل، وهو عندهم أشهر وأظهر من الإسناد الواحد المتصل.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٢١٧)، وفي الصغير (١١٦٢)، والدارقطني ١٢١/١، والبيهقي ٨٨/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والصغير، ورجاله موثقون.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١٧٢٦/٤.

(٣) ٦-٥/١٤، وسلف تخريج الخبر هناك.

(٤) النكت والعيون ٤٦٤/٥.

(٥) تفسير البغوي ٢٨٩/٤.

(٦) في معاني القرآن له ١٣٠/٣، والمصنف نقله عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٤٦٤/٥.

(٧) في أحكام القرآن له ١٧٢٦/٤، والحديث الآتي سلف ٢٠٧/٨.

لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهره الله من الشرك والنفاق. وقال أبو بكر الورّاق: لا يُوفَّق للعمل به إلا السعداء. وقيل: المعنى لا يمَسُّ ثوابه إلا المؤمنون. ورواه معاذ عن النبي ﷺ^(١). ثم قيل: ظاهر الآية خبر عن الشرع، أي: لا يمسه إلا المُطَهَّرُونَ شرعاً، فإن وجد خلاف ذلك فهو غير الشرع، وهذا اختيار القاضي أبي بكر بن العربي^(٢). وأبطل أن يكون لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر. وقد مضى هذا المعنى في سورة «البقرة»^(٣). المهدي: يجوز أن يكون أمراً، وتكون ضمة السين ضمة إعراب. ويجوز أن يكون نهياً وتكون ضمة السين ضمة بناء، والفعل مجزوم.

السادسة: واختلف العلماء في مسّ المصحف على غير وضوء، فالجمهور على المنع من مسّه؛ لحديث عمرو بن حزم. وهو مذهب عليّ وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزُّهري والنَّخعي والحكم وحمّاد، وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي^(٤). واختلفت الرواية عن أبي حنيفة، فروي عنه أنه يمسه المحدث^(٥)، وقد روي هذا عن جماعة من السلف منهم ابن عباس والشعبي وغيرهما^(٦). وروي عنه أنه يمَسُّ ظاهره وحواشيه وما لا مكتوب فيه، وأما الكتاب فلا يمسه إلا طاهر. ابن العربي^(٧): وهذا إن سلّمه مما يُقَوِّي الحجة عليه؛ لأنَّ حريم

(١) النكت والعيون ٥/٤٦٤، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل ١/٣٠٩، وفي إسناده: إسماعيل بن أبي زياد، وهو منكر الحديث.

(٢) في أحكام القرآن له ٤/١٧٢٦.

(٣) ٣/٤٩٠.

(٤) التمهيد ١٧/٣٩٧-٣٩٩، والاستذكار ٨/١٠، وكلام الشافعي في الأم ١/٢٢١.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٧٢٧، ولم نقف على هذه الرواية فيما بين أيدينا من مصادر، بل الذي ورد أنه يحرم مسّ المصحف للمحدث - كما ذهب إليه الجمهور - ورواية أخرى عن بعض مشايخ الحنفية أنه يكره له مسّ الموضوع المكتوب دون الحواشي؛ لأنه لم يمَسَّ القرآن حقيقة، والصحيح أنه إنّما يكره مسّ كلّ، لأن الحواشي تابعة للمكتوب، فكان مسّها مسّاً للمكتوب. بدائع الصنائع ١/٢٦٤-٢٦٦، وحاشية ابن عابدين ١/١٧٣-١٧٤.

(٦) المحرر الوجيز ٥/٢٥٢.

(٧) في أحكام القرآن له ٤/١٧٢٧، وما قبله منه أيضاً.

الممنوع ممنوع. وفيما كتبه النبي ﷺ لعمر بن حزم أقوى دليل عليه. وقال مالك: لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة^(١). وقال أبو حنيفة: لا بأس بذلك. ولم يمنع من حمله بعلاقة أو مسه بحائل^(٢). وقد روي عن الحكم وحماد وداود بن علي أنه لا بأس بحمله ومسّه للمسلم والكافر، طاهراً أو محدثاً^(٣)، إلا أن داود قال: لا يجوز للمشرك حمله. واحتجوا في إباحة ذلك بكتاب النبي ﷺ إلى قيصر، وهو موضع ضرورة، فلا حجة فيه. وفي مسّ الصبيان إياه على وجهين: أحدهما: المنع؛ اعتباراً، بالبالغ. والثاني: الجواز؛ لأنه لو منع لم يحفظ القرآن؛ لأن تعلمه حال الصغر؛ ولأن الصبي وإن كانت له طهارة إلا أنها ليست بكاملة؛ لأن النية لا تصح منه، فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة، جاز أن يحمله محدثاً.

السابعة: قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: منزل^(٤)، كقولهم: ضرب الأمير ونسج اليمين^(٥). وقيل: «تنزيل» صفة لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^(٦). وقيل: أي: هو تنزيل.

قوله تعالى: ﴿أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّذْهَبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَحَسْبُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينٍ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنْتُمْ مُّذْهَبُونَ﴾ أي: مكذبون، قاله ابن عباس وعطاء وغيرهما^(٧). والمذهبن: الذي ظاهره خلاف باطنه^(٨)، كأنه شبه

(١) المحرر الوجيز ٢٥٢/٥، وما بعده منه أيضاً، ومن تفسير البغوي ٢٨٩/٤، وقول مالك في الموطأ ١٩٩/١، وفي المدونة ١١٢/١.

(٢) مختصر اختلاف العلماء للطحاوي ١٥٦/١.

(٣) التمهيد ٣٩٨-٣٩٨/١٧، والاستذكار ١٢/٨.

(٤) الوسيط ٢٤٠/٤.

(٥) الحلل للبطلوسي ص ١٥٥.

(٦) المحرر الوجيز ٢٥٢/٥.

(٧) النكت والعيون ٤٦٤/٥ عن ابن عباس، وأخرجه عنه الطبري ٣٦٨/٢٢.

(٨) الوسيط ٢٤٠/٤.

بالدَّهْنِ فِي سَهْوَةٍ ظَاهِرَةٍ. وَقَالَ مِقَاتِلُ بْنُ سَلِيمَانَ وَقَتَادَةُ: مُدْهِنُونَ: كَافِرُونَ^(١)،
نَظِيرُهُ: ﴿وَدُّوْا لَوْ تَدْعُوْنَ مُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]. وَقَالَ الْمُؤَرِّجُ: الْمُدْهِنُ: الْمُنَافِقُ أَوْ الْكَافِرُ
الَّذِي يُلِينُ جَانِبَهُ لِيُخْفِيَ كَفْرَهُ، وَالْإِدْهَانُ وَالْمُدَاهِنَةُ: التَّكْذِيبُ وَالْكَفْرُ وَالنِّفَاقُ، وَأَصْلُهُ
اللِّينُ، وَأَنْ يُبَسَّرَ خِلَافَ مَا يَظْهَرُ^(٢)، وَقَالَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَتِ:

الْحَزْمُ وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْإِدْهَانِ وَالْفَهْمَةِ وَالْهَاعِ^(٣)
وَأَدْمَنُ وَدَاهَنُ وَاحِدٌ. وَقَالَ قَوْمٌ: دَاهَنْتُ بِمَعْنَى وَارَيْتُ، وَأَدْمَنْتُ بِمَعْنَى
عَشَشْتُ^(٤). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: «مُدْهِنُونَ»: مُعْرَضُونَ. مُجَاهِدٌ: مِمَّا تُنَوَّنُ الْكُفْرَ عَلَى
الْكَفْرِ بِهِ^(٥). ابْنُ كَيْسَانَ: الْمُدْهِنُ: الَّذِي لَا يَعْقِلُ مَا حَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيُدْفَعُهُ بِالْعُلَلِ.
وَقَالَ بَعْضُ اللَّغَوِيِّينَ: مُدْهِنُونَ: تَارِكُونَ لِلْحَزْمِ فِي قَبُولِ الْقُرْآنِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ
التَّكْذِيبَ^(٦). وَذَكَرَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيِّ: أَنَّ مِنْ لُغَةٍ أَزْدٌ شَنْوَةٌ: مَا رِزْقَ فُلَانٍ؟ أَيُّ: مَا
شَكَرَهُ^(٧). وَإِنَّمَا صَلَحَ أَنْ يُوضَعَ اسْمُ الرِّزْقِ مَكَانَ شُكْرِهِ؛ لِأَنَّ شُكْرَ الرِّزْقِ يَقْتَضِي
الزِّيَادَةَ فِيهِ، فَيَكُونُ الشُّكْرُ رِزْقًا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى. فَقِيلَ: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ» أَيُّ: شُكْرَ
رِزْقِكُمْ الَّذِي لَوْ وَجَدَ مِنْكُمْ لِعَادَ رِزْقًا لَكُمْ ﴿أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بِالرِّزْقِ، أَيُّ: تَضَعُونَ
الْكَذِبَ مَكَانَ الشُّكْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاةً
وَتَصَدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] أَيُّ: لَمْ يَكُونُوا يُصَلُّونَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَصْفُرُونَ وَيُصَفِّقُونَ

(١) تفسير البغوي ٢٩٠/٤ عن قتادة.

(٢) الوسيط ٢٤٠/٤ .

(٣) أمالي القالي ص ٢١٥ ، والمفضليات ص ٢٨٥ ، وورد عندهما: والفكّة، بدل: والفهّة. اهـ يقال: في فلان فكّة: أي استرخاء في رأيه. والفهّة: مثل السقطة والجهلة ونحوها. ورجل هاع لأع: جبان ضعيف جزوع. اللسان (فلك) و(فهه) و(هوع).

(٤) الصحاح (دهن).

(٥) النكت والعيون ٤٦٥/٥ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٤/٤ .

(٧) تفسير الطبري ٣٦٨/٢٢ .

مكان الصلاة. ففيه بيان أن ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يروّه من قبل الوسائط التي جرت العادة بأن تكن أسباباً، بل ينبغي أن يروّه من قبل الله تعالى، ثم يقابلونه بشكر إن كان نعمة، أو صبر إن كان مكروهاً؛ تعبداً له وتذلاً.

وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ: «وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ» حقيقة^(١). وعن ابن عباس أيضاً: أن المراد به الاستسقاء بالأنواء، وهو قول العرب: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا، رواه علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله^(٢). وفي «صحيح مسلم»^(٣) عن ابن عباس قال: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أصبح من الناس شاكراً، ومنهم كافرٌ، قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوءٌ كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» حتى بلغ: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ».

وعنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله خرج في سفر فعطشوا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أرأيتم إن دعوت الله لكم، فسقيتم، لعلكم تقولون: هذا المطر بنوء كذا». فقالوا: يا رسول الله، ما هذا بحين الأنواء. قال: فصلّى ركعتين ودعا ربّه، فهاجت ريح، ثم هاجت سحابة، فمُطِرُوا؛ فمرّ النبي صلى الله عليه وآله ومعه عصاية من أصحابه برجل يغترف بقدرح له، وهو يقول: سُقِينَا بِنَوْءِ كَذَا، ولم يقل: هذا من رزق الله، فنزلت: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ» أي: شكركم لله على رزقه إياكم «أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ» بالنعمة وتقولون: سُقِينَا بِنَوْءِ كَذَا، كقولك: جعلت إحساني إليك إساءة منك إليّ، وجعلت إنعامي لديك أن اتخذتني عدواً^(٤). وفي «الموطأ»^(٥) عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلّى بنا

(١) الكشاف ٥٩/٤، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحتسب ٣١٠/٢.

(٢) النكت والعيون ٤٦٥/٥، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٣٧٠/٢٢، وأما خبر علي المرفوع فأخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند ٩٧/٢ (٦٧٧)، والطبري ٣٦٩/٢٢.

(٣) برقم (٧٣)، وأخرجه أيضاً الواحدي في أسباب النزول ص ٤٢٩، والكلام - وما بعده - منه أيضاً.

(٤) المحرر الوجيز ٢٥٢/٥.

(٥) ١٩٢/١، والحديث سلف ٤٠٣/٨، وقوله: على إثر سماء كانت من الليل. فإنه أراد سحاباً حيث

نزل من الليل، والعرب تسمى السحاب والماء النازل منه سماء. التمهيد ٢٨٥/١٦.

رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحُدَيْبِيَّةِ على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أُقْبِلَ على الناس وقال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بالكوكب، فأما من قال: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فذلك مؤمن بالكوكب كافر بي».

قال الشافعي^(١) رحمه الله: لا أحبُّ أحداً أن يقول: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، وإن كان النَّوْءُ عندنا الوقت المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يمطر ولا يحبس شيئاً من المطر، والذي أحبُّ أن يقول: مُطِرْنَا وقت كذا، كما تقول: مُطِرْنَا شهر كذا، ومن قال: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا، وهو يريد أنَّ النَّوْءَ أنزل الماء، كما عنى بعضُ أهل الشرك من الجاهلية بقوله، فهو كافر، حلال دمه إن لم يتب.

وقال أبو عمر بن عبد البر^(٢): وأما قوله عليه الصلاة والسلام حاكياً عن الله سبحانه: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» فمعناه عندي على وجهين: أمّا أحدهما: فإنَّ المعتقد بأنَّ النوء هو الموجب لنزول الماء، وهو المنشئ للسحاب دون الله عزَّ وجلَّ، فذلك كافر كفرةً صريحاً يجب استتابته عليه وقتله؛ لنبذ الإسلام، وردّه القرآن. والوجه الآخر: أن يعتقد أنَّ النَّوْءَ يُنَزِّلُ اللَّهُ بِهِ الْمَاءَ، وأنَّه سببُ الماء على ما قدره الله وسبَّق في علمه، وهذا وإن كان وجهاً مباحاً، فإن فيه أيضاً كفرةً بنعمة الله عزَّ وجلَّ، وجهلاً بلطيف حكمته في أنَّه يُنَزِّلُ الْمَاءَ متى شاء، مرّةً بِنَوْءِ كَذَا، ومرّةً دون النوء^(٣)، وكثيراً ما يخوي^(٤) النَّوْءُ فلا ينزل معه شيء من الماء، وذلك من الله تعالى لا من النَّوْءِ. وكذلك كان أبو هريرة يقول إذا أصبح وقد مُطِرَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ

(١) في الأم ٢٢٣/١، والمصنف نقله عنه بواسطة ابن عبد البر في التمهيد ٢٨٥/١٦.

(٢) في التمهيد ٢٨٦/١٦.

(٣) في النسخ عدا (ظ): بنوء كذا، والمثبت من (ظ) والتمهيد ٢٨٦/١٦.

(٤) في النسخ عدا (ظ): ينوء. والمثبت من (ظ) والتمهيد ٢٨٦/١٦، وخَوَّتْ النجوم تخوي خيًّا:

أَمْحَلَّتْ، وقيل: خَوَّتْ وأخَوَّتْ: إذا سقطت ولم تمطر في نوبها. اللسان (خوا).

الفتح، ثم يتلو: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] قال أبو عمر^(١): وهذا عندي نحو قول رسول الله ﷺ: «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ»^(٢). ومن هذا الباب قول عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب حين استسقى به: يا عمّ رسول الله، كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يزعمون أنّها تعترض في الأفق سبعاً بعد سقوطها. فما مضت سابعة حتى مطروا، فقال عمر: الحمد لله، هذا بفضل الله ورحمته. وكان عمر ﷺ قد عَلِمَ أَنَّ نَوْءَ الثُّرَيَّا وَتُورِجِي فِيهِ الْمَطَرُ وَيُؤَمَّلُ، فسأله عنه: أخرج، أم بقيت منه بقيّة^(٣)؟.

وروى سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أمية أن النبي ﷺ سمع رجلاً في بعض أسفاره يقول: مُطِرْنَا بِيَعْضِ عَثَانِينَ الْأَسَدِ. فقال رسول الله ﷺ: «كذبت، بل هو سُقْيَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» قال سفيان: عَثَانِينَ الْأَسَدِ: الذراع والجهة^(٤).

وقراءة العامة: «تُكذَّبُونَ» من التكذيب. وقرأ المفضل عن عاصم ويحيى بن وثّاب: «تُكذَّبُونَ» بفتح التاء مخففاً^(٥). ومعناه ما قدّمناه من قول من قال: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا.

وثبت من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ لن يزلن في أمّتي: التفاخر في الأحساب، والنياحة، والأنواء»^(٦) ولفظ مسلم^(٧) في هذا: «أربع في أمّتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنّ: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب،

(١) في التمهيد ٢٨٦/١٦.

(٢) سلف قريباً.

(٣) التمهيد ٢٨٦/١٦، وخبر عمر أخرجه النعميدي في مسنده (١٠٠٩)، والطبري ٢٢/٣٧٠-٣٧١، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٣٥٩ مطوّلاً.

(٤) التمهيد ٢٨٤/١٦، والحديث أخرجه الطبري ٢١/٥٢١ و٢٢/٣٧٠ عن يونس، عن سفيان، به.

(٥) قراءة عاصم في السبعة ص ٦٢٤.

(٦) أخرجه أبو يعلى (٣٩١١)، وابن عبد البر في التمهيد ١٢/٢٤٢ و١٦/٢٩٢. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٢: رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات.

(٧) في صحيحه (٩٣٤)، وهو عند أحمد (٢٢٩١٢).

والاستسقاء بالنجوم، والنباحه».

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ أي: فهلاً إذا بلغت النفس أو الروح الحلقوم^(١). ولم يتقدم لها ذكر؛ لأن المعنى معروف، قال حاتم: أماوي ما يُعني الشراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر^(٢) وفي حديث: «إن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق، ويجمعون الروح شيئاً فشيئاً، حتى ينتهي بها إلى الحلقوم، فيتوفاها ملك الموت»^(٣).

﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ أمرى وسلطاني^(٤). وقيل: تنظرون إلى الميت لا تقدرون له على شيء. وقال ابن عباس: يريد من حضر من أهل الميت ينتظرون متى تخرج نفسه. ثم قيل: هو رد عليهم في قولهم لإخوانهم: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦] أي: فهلاً ردوا روح الواحد منهم إذا بلغت الحلقوم. وقيل: المعنى: فهلاً إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزاع وأنتم حضور، أمسكتم روحه في جسده، مع حرصكم على امتداد عمره، وحبكم لبقائه. وهذا رد لقولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقيل: هو خطاب لمن هو في النزاع، أي: إن لم يك ما بك من الله، فهلاً حفظت على نفسك الروح.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي: بالقدرة والعلم والرؤية^(٥). قال عامر بن عبد قيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليّ منه. وقيل: أراد: ورسلنا الذين يتولون قبضه «أقرب إليه منكم» ﴿وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ﴾ أي: لا ترونها^(٦). قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: فهلاً إن كنتم غير محاسبين ولا

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٢.

(٢) ديوانه ص ٣٩، والحشرجة: الغرغرة عند الموت وتردد النفس. الصحاح (حشرح).

(٣) لم تقف عليه.

(٤) تفسير البغوي ٤/٢٩٠.

(٥) تفسير البغوي ٤/٢٩١. والصحيح إثبات صفة القرب لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) المحرر الوجيز ٥/٢٥٣، وتفسير الطبري ٢٢/٣٧٣.

مجزيين بأعمالكم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجزيون محاسبون. وقد تقدم^(١). وقيل: غير مملوكين ولا مقهورين. قال الفراء وغيره: دَيْتُّهُ: مَلَكَته، وأنشد للحطيئة:

لقد دَيْتُ أمرَ بَنِيكَ حَتَّى تَرَكَتَهُمْ أَدَقَّ مِنَ الطَّحِينِ^(٢)
يعني: مَلَكَت. ودانه، أي: أذله واستعبده، يقال: دَيْتَهُ فَدَان. وقد مضى في «الفتحة»^(٣) القول في هذا عند قوله تعالى: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الآية: ٤].

﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ ترجعون الروح إلى الجسد. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: ولن ترجعوها، فبطل زعمكم أنكم غير مملوكين ولا محاسبين. و«ترجعونها» جواب لقوله تعالى: «فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ»، ولقوله: «فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» أجيباً بجواب واحد، قاله الفراء^(٤). وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا أَيَّتُكُم مِّنِي هُدَىٰ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] أجيباً بجواب واحد؛ وهما شرطان. وقيل: حذف أحدهما؛ للدلالة الآخر عليه. وقيل: فيها تقديم وتأخير، مجازها: فلولا وهلا إن كنتم غير مدِينين ترجعونها، تردون نفس هذا الميت إلى جسده إذا بلغت الحلقوم.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ٨٨ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ﴾ ٨٩ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ٩٠ ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ٩١ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ ٩٢ ﴿فَنُزِّلَ مِنْ جَمِيمٍ﴾ ٩٣ ﴿وَنَصَلْبُهُ جَمِيمٍ﴾ ٩٤ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ٩٥ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ٩٦

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ذكر طبقات الخلق عند الموت، وعند

(١) ١٦٣/١٩ - ١٦٤.

(٢) الصحاح (دين) وما بعده منه أيضاً، والبيت في ديوان الحطيئة ص ٦٥، إلا أنه ورد فيه: فقد سوّست، بدل: لقد دَيْتُ.

(٣) ٢٢١/١.

(٤) في معاني القرآن له ١٣٠/٣، وما بعده منه أيضاً.

البعث، وبين درجاتهم فقال: «فَأَمَّا إِنْ كَانَ» هذا المتوفى «مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» وهم السابقون^(١). ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَحَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ وقراءة العامة: «فَرُوحٌ» بفتح الراء^(٢)، ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا^(٣). وقال الحسن: الرُّوح: الرحمة^(٤). الضحَّاك: الرُّوح: الاستراحة. القُتَيْبِيُّ^(٥): المعنى: له في القبر طيب نسيم. وقال أبو العباس بن عطاء: الرُّوح بالنظر إلى وَجْهِ الله، والريحان: الاستماع لكلامه ووحيه. «وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ» هو ألا يُحَجَّب فيها عن الله عزَّ وجلَّ. وقرأ الحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدريُّ ورؤيس وزيد عن يعقوب: «فَرُوحٌ» بضم الراء، ورويت عن ابن عباس^(٦). قال الحسن: الرُّوح: الرحمة؛ لأنها كالحياة للمرحوم. وقالت عائشة رضي الله عنها: قرأ النبي ﷺ: «فَرُوحٌ» بضم الراء^(٧) ومعناه: بقاء له وحياة في الجنة، وهذا هو الرحمة.

«وَرِيحَانٌ» قال مجاهد وسعيد بن جبير: أي: رزق^(٨). قال مقاتل: هو الرزق، بلغة حمير، يقال: خرجت أطلب ريحانَ الله، أي: رزقه؛ قال النِّير بن تَوْلَب: سَلَامُ الْإِلَهِ وَرِيحَانُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءٌ دَرَرٌ^(٩)

(١) تفسير البغوي ٤/٢٩١.

(٢) النشر ٢/٣٨٣.

(٣) النكت والعيون ٥/٤٦٦، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٣٧٦-٣٧٧، وابن أبي حاتم ١٠/٣٣٣٥ (١٨٨٠٩).

(٤) الكشف ٤/٦٠.

(٥) في غريب القرآن له ص ٤٥٢.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٥٢، والمحتسب ٢/٣١٠، والنشر ٢/٣٨٣.

(٧) الكشف ٤/٦٠، وأخرجه أحمد (٢٤٣٥٢)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٢).

(٨) تفسير البغوي ٤/٢٣٣، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/٣٧٧، وقول مجاهد في تفسيره ٢/٦٥٣.

(٩) سلف ص ١٢٢ من هذا الجزء.

وقال قتادة: إنه الجنة. الضحَّاك: الرحمة. وقيل: هو الريحان المعروف الذي يُسَمُّ. قاله الحسن وقتادة أيضاً^(١). الربيع بن خيثم: هذا عند الموت، والجنة مخبوءة له إلى أن يُبعث. أبو الجوزاء: هذا عند قبض روحه يتلقَّى بَضْبائر الرِّيحان^(٢). أبو العالية: لا يفارق أحد رُوحه من المقرَّبين في الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان، فيشمها ثم يقبض روحه فيها^(٣)، وأصل ريحان واشتقاقه تقدَّم في أوَّل سورة «الرحمن» فتأمَّله. وقد سرد الثعلبيُّ في الرُّوح والرِّيحان أقوالاً كثيرةً سوى ما ذكرنا من أرادها وجدها هناك.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: «إِنْ كَانَ» هذا المتوقِّف «مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» ﴿فَسَلِّمْ لَهُمْ﴾ أي: لست ترى منهم إلا ما تحبُّ من السلامة فلا تهتمَّ لهم، فإنَّهم يَسْلَمون من عذاب الله. وقيل: المعنى: سلام لك منهم، أي: أنت سالم من الاغتمام لهم. والمعنى واحد. وقيل: أي: إنَّ أصحاب اليمين يَدْعُونَ لك يا محمَّد بأن يصلِّي الله عليك ويسلِّم. وقيل: المعنى إنَّهم يُسَلِّمون عليك يا محمَّد^(٤). وقيل: معناه: سَلِمَت أيُّها العبد مما تكرهه، فإنَّك من أصحاب اليمين، فحذف: إنَّك^(٥). وقيل: إنه يُحْيَا بالسلام؛ إكراماً.

فعلى هذا في محلِّ السلام ثلاثة أقاويل: أحدها: عند قبض روحه في الدنيا يُسَلِّم عليه مَلَك الموت، قاله الضحَّاك. وقال ابن مسعود: إذا جاء مَلَك الموت ليقبض روح

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٦/٤، والنكت والعيون ٤٦٧/٥، وزاد المسير ١٥٧/٨، والمحرر الوجيز ٢٥٤/٥، وقول الحسن أخرجه الطبري ٣٧٨/٢٢.

(٢) تفسير السمعي ٣٦٢/٥، والضبائر: الجماعات. اللسان (ضبر).

(٣) تفسير البغوي ٢٩١/٤، وأخرجه عنه الطبري ٣٧٨/٢٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٤، ومعاني القرآن للزجاج ١١٨/٥، وتفسير البغوي ٢٩١/٤، وزاد المسير ١٥٨/٨.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٤، ومعاني القرآن للفراء ١٣١/٣.

المؤمن قال: ربُّك يقرئك السلام. وقد مضى هذا في سورة «النحل»^(١) عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ﴾ [الآية: ٣٢].

الثاني: عند مساءلته في القبر يُسَلِّم عليه منكر ونكير.

الثالث: عند بعثه في القيامة تُسَلِّم عليه الملائكة قبل وصوله إليها^(٢).

قلت: وقد يحتمل أن تُسَلِّم عليه في المواطن الثلاثة، ويكون ذلك؛ إكراماً بعد إكرام. والله أعلم. وجواب «إِنْ» عند المبرِّد محذوف، التقدير: مهما يكن من شيء «فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» إن كان من أصحاب اليمين «فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» فحذف جواب الشرط؛ لدلالة ما تقدَّم عليه، كما حذف الجواب في نحو قولك: أنت ظالم إن فعلت؛ لدلالة ما تقدَّم عليه. ومذهب الأخفش أن الفاء جواب «أَمَّا» و «إِنْ»، ومعنى ذلك أن الفاء جواب «أَمَّا» وقد سدَّت مسدَّ جواب «إِنْ» على التقدير المتقدِّم، والفاء جواب لهما على هذا الحدِّ. ومعنى «أَمَّا» عند الزجَّاج: الخروج من شيء إلى شيء، أي: دَعُ ما كُنَّا فيه، وخذ في غيره^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِّبِينَ﴾ بالبعث ﴿الضَّالِّينَ﴾ عن الهدى وطريق الحق^(٤) ﴿فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: فلهم رزق من حميم، كما قال: «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَاتُ الضَّالُّونَ الْمُكذِّبُونَ. لَا يَكْلُونُ» وكما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ [الصفات: ٦٧]. ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ﴾ إدخال في النار. وقيل: إقامة في الجحيم ومقاساة لأنواع عذابها، يقال: أصلاه النارَ وصَلَّاهُ، أي: جعله يَصْلَاهَا، والمصدر ههنا أضيف إلى المفعول، كما يقال: لفلان إعطاء مالٍ، أي: يُعْطَى المال. وقرئ: «وَتَصْلِيَةٌ» بكسر التاء، أي: ونزلٌ من تصلية جحيم. ثم أدغم أبو عمرو التاء في

(١) ٣٢٠/١٢.

(٢) الأقوال الثلاثة في النكت والعيون ٤٦٧/٥.

(٣) مشكل إعراب القرآن لمكي ٧١٤/٢-٧١٥، وقول المبرِّد في المقتضب ٢٧/٢.

(٤) تفسير البغوي ٢٩١/٤.

الجيم، وهو بعيد^(١).

﴿إِنَّ هَذَا لَهُو حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: هذا الذي قصصناه مَحْضُ اليقين وخالصة. وجاز إضافة الحقِّ إلى اليقين، وهما واحد؛ لاختلاف لفظهما. قال الميرد: هو كقولك: عين اليقين، ومحض اليقين، فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين. وعند البصريين: حقُّ الأمر اليقين، أو الخبر اليقين. وقيل: هو توكيد. وقيل: أصل اليقين أن يكون نعتاً للحقِّ، فأضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع والمجاز، كقوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾^(٢) [يوسف: ١٠٩].

وقال قتادة في هذه الآية: إنَّ الله ليس بتارك أحدًا من الناس حتى يَقِفَهُ على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: نَزَّهُ الله تعالى عن السُّوء. والباء زائدة، أي: سَبِّحْ اسم ربِّك، والاسمُ المسمَّى^(٣). وقيل: «فَسَبِّحْ» أي: فَصَلِّ بِذِكْرِ رَبِّكَ وأمره^(٤). وقيل: فاذكر اسمَ ربِّك العظيم وسبِّحه. وعن عقبه بن عامر قال: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال النبي ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قال النبي ﷺ: «اجعلوها في سجودكم» خرَّجه أبو داود^(٥)، والله أعلم.

(١) القراءات الشاذة ص ١٥٢، والكشاف ٦٠/٤، والبحر المحيط ٢١٦/٨.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ٤٣٦-٤٣٨، وإعراب القرآن للنحاس ٣٤٨/٤.

(٣) الوسيط ٢٤٣/٤.

(٤) تفسير البغوي ٢٩٢/٤.

(٥) برقم (٨٦٩)، وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٨٨٧)، وأحمد (١٧٤١٤)، والحاكم ٤٧٧/٢ وقال: صحيح

الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.